الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

دلالة صورة المرأة في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية سورة مريم أنموذجا

مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص: لسانيات الخطاب

من إعداد الطالبة:
سارة نهال بلفضل

إشراف الأستاذ:
أ.د. بلقاسم عيسى

لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة	الصفة
محمد بلحسين	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
بلقاسم عيسى	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
مختار بن جلول	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444 هـ
2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الذي أوصَاني الله به برآ وأحساناً وأهدى لي سنين عمري الذي أحني ظهره التعب في سبيل وصولي لهذه المرحلة والدي الحبيب إلى بحر الحب والحنان والنبض الساكن في عروقي التي لم تنم يوماً إلا ورفعت يدها للسماء تدعوا الله ليحقق حلمي، حبيبة قلبي أمي التي كانت كظل الشجر تحميني من مصاعب الحياة.

شكرا لكل من وقف إلى جانبي وساندني، إلى زوجي سندي، وإخوتي وكل عائلتي، أهدي تخرجي على كل ما قدمتموه من الدعم لي شكرا لأساتذتي شكرا لكل من علمني حرفا لأصل إلى ما وصلت إليه شكرا لكل من دعا لي بظهر الغيب دعوة.

سارة نهال بلفضل

شكروتقدير

نشكرالله عزوجل أولا وأخيرا على أن وفقني لإتمام هذا العمل

كما أتقدم بالشكرالجزيل وفائق الاحترام والامتنان إلى

الأستاذ المشرف **"بلقاسم عيسى"** الذي منحني من وقته

الكثير ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته

جزاه الله عني خير الجزاء

كما لا يفوتني إيصال الشكرإلى لجنة المناقشة الموقرة

التي قبلت مناقشة هذه الدراسة.

مقدمة

كرم الله إنسانية المرأة، حيث جعلها في القرآن في مستوى الرجل في الحظوة الإنسانية الرفيعة، حينما كانت في كلّ الأوساط المتحضّرة والجاهلة مُهانةً وَضيْعَةَ القدر، لا شأن لها في الحياة،فجاء الإسلام وأخذ بيدها وصعد بها إلى حيث مستواها الرفيع الموازي لمستوى الرجل في المجال التكريم الإلهي ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[1]، ﴿لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[2]

عندما يتحدّث القرآن عن الإنسان ـ وليس في حقيقة الإنسانية ذكورة ولا أنوثة ـ وعن نفخ الله فيه من روحه، وعندما يبارك الله في خلقه لهذا الإنسان، إنّما يتحدّث عن الذات الإنسانية الرفيعة المشتركة بين الذكر والأنثى من غير فرق ولا تمييز. ويتحدّث عن الجنس ذكراً وأنثى على حد سواء.

وعندما يتحدّث القرآن عن كرامة الإنسان وتفضيله على كثير ممّن خلق الله وعن الودائع التي أودعها هذا الإنسان الذي قال فيه سيدنا علي رضي الله عنه :

دَواؤُكَ فيكَ وَما تُبصِرُ وَدَاؤُكَ مِنكَ وَما تَشعُرُ
أَتَزعُمُ أَنَّكَ جُرمٌ صَغيرٌ وَفيكَ اِنطَوى العالَمُ الأَكبَرُ
فَأَنتَ الكِتابُ المُبينُ الَّذي بِأَحرُفِهِ يَظهَرُ المُضمَرُ
وَما حاجَةٌ لَكَ مِن خارِجٍ وَفِكرُكَ فيكَ وَما تُصدِرُ.

وكذلك عندما يقول القرآن ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وعندما يقول ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وإلى أمثالها من تعابير قرآنية لا يفرّق فيها بين ذكرٍ وأنثى؛ ونتيجة كل ذلك ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ لا تمييز بينها ولا تفارق فيما يمتاز به الإنسان في أصل وجوده وفي سعيه لبلوغ مراتب كماله .﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وقد جاء قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾؛[3] دليلاً قاطعاً على موازاة الأنثى مع الذكر في أصالة النوع البشري، ولا تزال هذه الأصالة محتفظاً بها عبر تناسل الأجيال؛ ولكن تبقى بعض الفروق وهي التي ذكرها القرآن ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾[4].

نعم، ليس الذكر كالأنثى فهناك خصائص نفسيّة وعقلية ميّزت أحدهما عن الآخر في تكوينه الذاتي ممّا أوجب تفارقاً في توزيع الوظائف التي يقوم بها كلٌّ

1- سورة النساء، الآية32.
2- سورة البقرة، الآية228.
3- سورة الحجرات، الآية13.
4- سورة آل عمران، الآية 36.

منهما في حقل الحياة، توزيعاً عادلاً يتناسب مع معطيات ومؤهّلات كلّ من الذكر والأنثى، الأمر الذي يؤكّد شمول العدل في التكليف والاختيار .ولننظر في هذه الفوارق الناشئة من مقام حكمته تعالى في الخلق والتدبير. ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.[1] وهذه متوافقة مع ذات الفطرة التي جُبِل عليها كلٌّ من الرجل والمرأة.

فالإنصاف يقتضي أن المساواة في التّشريعات تكونُ حيثُ وجدت الصّفات المتطابقة، وهو يقتضي كذلك الاختلاف في هذه التّشريعات حيث اختلفت الصّفات، ويكون التّطابق والاختلاف في التّشريعات متناسبًا مع نسبة التّطابق والاختلاف بين صفات الرّجل والمرأة في كلّ قضيّة من القضايا التفصيليّة، وقد نبّه إلى هذا المعنى الإمام الطّاهر بن عاشور؛ إذ يقول::إن الإسلام دين الفطرة، فكلّ ما شهدت الفطرة بالتّساوي فيه بين المسلمين فالتّشريع يفرض فيه التّساوي بينهم، وكلّ ما شهدت الفطرة بتفاوت البشريّة فيه، فالتّشريع بمعزلٍ عن فرضِ أحكامٍ متساويةٍ فيه.[2]

ويقول بن عاشور في موضع آخر من الكتاب نفسه:فالمساواة في التّشريع أصلٌ لا يتخلّف إلَّا عند وجود مانع، فلا يحتاج إثباتُ التّساوي في التّشريع بين الأفراد أو الأصناف إلى البحث عن موجب المساواة، بل يكتفي بعدم وجود مانعٍ من اعتبار التّساوي، ولذلك صرّح علماء الأمة بأنّ خطاب القرآن بصيغة التّذكير يشمل النّساء، ولا تحتاج العباراتُ من الكتاب والسّنة في إجراء أحكام الشّريعة على النّساء إلى تغيير الخطاب من تذكير إلى تأنيث ولا عكسَ ذلك.[3]

وهنا لا بدّ من التّنبيه إلى أنّه إذا كانت المجتمعات المسلمة أو غير المسلمة قد ذهبت إلى تكريس الظّلم، وتوسيع مساحة التّمييز بين الّرجل والمرأة بصور متعسّفة لا علاقة لها بالإسلام وتشريعاته العادلة، فمن الظلم للمرأة في المقابل أيضًا أن تكون ردّة الفعل هي الذّهاب إلى فرض المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، فكلاهما تعسّفٌ وتطرّف، والتّوازن إنّما يكمن في التّشريع الإسلاميّ الذي راعى جانب المساواة وجوانب الاختلاف بين الرّجل والمرأة في التّشريعات تطابقًا واختلافًا، (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ).[4]

إنّ معطيات الرجل النفسية والخُلُقية تختلف عن معطيات المرأة، كما تختلف طبيعتها الأنثوية عن طبيعة الرجل الصلبة الشديدة؛ وليس الذكر كالأنثى؛ هذه الطبيعة الأنثوية تجعلها سريعة الانفعال في كثير من الأمور، على خلاف الرجل في تريثه ومقاومته عند مقابلة الحوادث، فالمرأة في الإنسانية تعادل الرجل ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فلها مثل الذي عليه من الحقّ المشترك، وهذا هو التماثل بالمعروف أي التساوي فيما يعترف به العقل ولا يستنكره الشرع وفي القوامة

1- سورة البقرة، الآية 228.
2- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، 2011 ص 279
3- نفسه، ص 281.
4- سورة المائدة، الآية 50.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، قال سيّد قطب:وهذه الخصائص ليست سطحية، بل هي غائرة في التكوين العضويّ والعصبيّ والعقليّ والنفسيّ للمرأة؛ بل يقول كبار العلماء والمختصّين إنّها غائرة في تكوين كلّ خليّة، لأنّها عميقة في تكوين الخلية الأولى، التي يكون من انقسامها وتكاثرها الجنين، بكلّ خصائصه الأساسية.

ومن المعلوم أن الفرق في التفكير والسلوك بين الذكر والأنثى، يظهر في جميع مراحل الحياة، وهذه الاختلافات بينهما ثبتت بأرقام قائمة على دراسات علمية، ولذلك فإن دعاوى المساواة الظالمة بينهما ومحاولة توظيف أحكامها في الميدان، فيها مخالفة لكل شيء؛ مخالفة للدين والعقل والعلم.

وكذلك زُوَّد الرجل فيما زُوَّد به من الخصائص بالمقاومة والصلابة، وبطء الانفعال والاستجابة، والتروّي واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة، لأنّ وظائفه كلّها منذ بدء الحياة وممارسة التنازع في البقاء تحتاج إلى قدرٍ من التروّي قبل الإقدام، وإعمال الفكر والبطء في الاستجابة بوجهٍ عامّ. كلّها عميقة في تكوينه عمق خصائص المرأة في تكوينها.وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل في مجالها،كما أنّ تكليفه بالإنفاق، وهو فرعٌ من توزيع الاختصاصات يجعله بدوره أولى بالقوامة.

إن هذان العنصران -المشار إليهما آنفا -هما اللذان أبرزهما النصّ القرآني، وهو يقرّر قوامة الرجال على النساء في المجتمع الإسلامي.قوامة لها أسبابها وعللها من التكوين والاستعداد، إلى جانب أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات، الأمر الذي جعل من مرتبة الرجل أعلى من مرتبة المرأة بدرجة. وإسناد القوامة بمعناها الشرعي الإيجابي إلى الرجل لفائدة المرأة. فالقوامة في الإسلام إنما هي خدمة ورعاية ومسؤولية مادية ومعنوية يتحملها الرجل لفائدة زوجته، فهو بمقتضى هذه القوامة يتحمل متاعب وأعباء ومسؤوليات إضافية تعفى منها المرأة، أو تتحمل منها ما تشاء، أو ما يكون تكميليا وليس أساسيا، وروت السيدة عائشة رضي الله عنها -وغيرها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي.[1]

قال سيّد قطب في تفسير قوله تعالى: (ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعضَهُم عَلَىٰ بَعض وَبِمَا أَنفَقُواْ مِن أَموَٰلِهِم فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلغَيبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهجُرُوهُنَّ فِي ٱلمَضَاجِعِ وَٱضرِبُوهُنَّ فَإِن أَطَعنَكُم فَلَا تَبغُواْ عَلَيهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّا كَبِيرا). إنّها مسائل خطيرة، أخطر من أن تتحكّم فيها أهواء البشر، وأخطر من أن تترك لهم يخبطون فيها خبط عشواء.وحين تركت لهم ولأهوائهم في الجاهليات القديمة والجاهليات الحديثة هدّدت البشرية تهديداً خطيراً في وجودها ذاته، وفي بقاء الخصائص الإنسانية التي تقوم بها الحياة الإنسانية وتتميّز.

1- سنن الترمذي، أبواب المناقب باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 3895 .

ولعلّ من الدلائل التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكّمها، ووجود قوانينها المتحكّمة في بني الإنسان، حتّى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتنكّرون لها، ما أصاب الحياة البشرية من تخبّط وفساد، ومن تدهور وانهيار، ومن تهديدٍ بالدمار والبوار، في كلّ مرّةٍ خولفت فيها هذه القاعدة.

تتضمن كثير من قصص القرآن شخصيات نسائية وتقدم للمؤمنين لحظات من التأمل في النفس .إن التركيز على قصص النساء في القرآن يوفر الغذاء الروحي للمرأة المسلمة، ويساعد في ربط المسلمين بتاريخهم المقدس .وهذا صحيح تماما، خصوصًا عندما نواجه أحيانًا صعوبة في العثور على نساء أخريات في مناصب ذات سلطة دينية يمكننا أن ندرس أخبارهن مباشرة.

وفي الإسلام إصلاحات اجتماعية كثيرة جاء بها القرآن وفصلها النبي صلى الله عليه وسلم لصالح نساء المؤمنين.وكان تأثير هذه المبادئ على شخصية الدين وروحه مستمرة استمرار الزمن.وقد أثار اهتمامي وفرة الشخصيات الإيمانية النسائية، ودورهن الأساسي في نقل أخلاق التدين والمعرفة الدينية، والقصص العديدة لنساء صالحات بارزات دعمن قيام المجتمع المسلم وأسسن قواعده.

كما أن البحث والقراءة في سِيَر شخصيات من النساء الأوائل، أيقضا في داخلي الرغبة في إيجاد طريقة للمساهمة ولو بالقليل في استدامة هذه المدارس لدعم مجتمع نابض بالحياة تعلما وسموا روحيا.

إن الحديث عن المرأة يجعلنا نطرح إشكالا بحثيا يتمحور حول السؤال التالي:ما الدلالة التركيبية لصورة المرأة في القرآن الكريم؟ وللإجابة عن هذا الإشكال المطروح في إطار موضوع البحث المعنون، بـ:**"دلالة صورة المرأة في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية سورة مريم أنموذجا"**؛ نبحث عن كيف تناول المفسرون والمفكرون هذه الدلالة في سياقاتها المختلفة، وكيف نظروا إلى الصورة بشكل عام، وإلى صورة المرأة بشكل خاص في الجاهلية والإسلام والحضارات القديمة وكيف كان دورها في المجتمع، مستندين في ذلك إلى نماذج للمرأة في القرآن الكريم؛ أبرزها السيدة مريم عليها السلام.

لقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون من فصلين اثنين نتناول في الأول منهما صورة المرأة في القرآن الكريم، حيث نتعرض في مباحثه إلى مفهوم الصورة لغة واصطلاحا ونشأتها عند المسلمين والغربيين وأقوال العلماء في الصورة ودلالاتها، ونركز على صور النساء في الكتاب المبين.

أما الفصل الثاني فنتحدث فيه عن دلالة صورة المرأة في القرآن الكريم ونتناول في مباحثه أمثلة عن الصالحات والسيئات من النساء المذكورات في النص القرآني، ونختم بالحديث عن النموذج المختار وهو السيدة مريم عليها السلام.

واعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المراجع أهمها كتب التفسير مثل ابن كثير وفي ظلال القرآن للسيد قطب، تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

وغيرها من المؤلفات ذات الصلة وما أكثرها .وقد تعرض بعض الباحثين لصورة المرأة في القرآن الكريم مثل :صورة المرأة في القرآن الكريم سورة النور أنموذجا للباحثتين بجامعة البويرة خميسي نجاة ورامي أحلام .بجامعة البويرة.

ولا يخلو أي بحث من صعوبات قد تكون شديدة أو أقل شدة، حسب طبيعة الموضوع، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور المحترم: بلقاسم عيسى، الذي أشرف على هذا العمل، والذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته لإنجاز هذا البحث، كما أتوجه بكل عبارات الاحترام لوالدي الأستاذ الدكتور محمد بلفضل الذي قدم لي كل المساعدة المعنوية والمادية في سبيل إخراج هذا العمل في أحسن صورة. راجية من المولى أن يجازيهما عني أكرم الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة ممثلة في الأستاذ الدكتور بلحسين محمد رئيسا، والأستاذ الدكتور مختار بن جلول مناقشا. لقبول مناقشة هذا العمل، وتقييمه وإثرائه.

وفي الأخير أرجو أن يتقبل الله مني هذا العمل وأن يجعله مفيدا في محتواه، شيقا في موضوعه، لاسيما أنه بحث يرتبط بالقرآن الكريم وبشخصية سيدة من سيدات نساء العالمين مريم عليها السلام.

بلفضل سارة نـهال
جامعة بن خلدون تيارت
يوم 2023 /06/12
الساعة 9 صباحا

الفصل الأول
الصورة في الأدب عموما وفي القرآن الكريم خصوصا

تمهيد.

تناول السابقون ومن قبلهم، والمعاصرون موضوع الصورة باللفظ أحيانا وبالمعنى أحيانا أخرى، وكثيرا ما كانوا يطلقون على بعض أجزاء التصوير المعروفة عند المعاصرين مسمى الصورة، لذلك سنتعرف على مفهوم الصورة لغة واصطلاحا، وما ورد فيها من أقوال للعلماء والباحثين عند العرب وغيرهم، وكذا في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم الصورة:

لا ينفصل معنى الصورة عن إشاراته المتعددة الدالة على صعوبة تحديده في مفهوم واحد تندرج تحته وفي حيزه كل أنواع الصور؛ لذلك يعد مفهوم الصورة من أكثر المفاهيم الأدبية والنقدية حضورا واستعمالاً. وسنحاول في هذه العجالة أن نبينه في اللغة والاصطلاح بما يتوافق وموضوع البحث.

المطلب الأول:تعريف الصورة لغة واصطلاحا:

حتى ندرك المقصود من الصورة يجب علينا وضعها في سياقها اللغوي ثم الاصطلاحي حتى يمكننا وضع الإطار المحدد للبحث.

أولا:تعريف الصورة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور، في مادة (ص و ر)؛ الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير؛ التماثيل. وقال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان العرب ولغتهم على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، ويقال صورة الفعل كذا وكذا؛ أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا؛ أي صفته.[1]

وقريب من ذلك ما جاء عن الفيومي والفيروز أبادي، والمأخوذ من معاني الصورة في معاجم اللغة أنها تعني الشكل، والنوع والصفة الحقيقية.[2]يقول الراغب الأصفهاني: الصورة ما ينتقش به الأعيان ويتميز بها غيرها وذلك ضربان، أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس والحمار بالمعاينة، والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية والمعاني التي خص بها شيء بشيء، وإلى الصورتين أشار تعالى بقوله:(ثم صورناكم)،(وصوركم فأحسن صوركم)، (في أي صورة ما شاء ركبك)، (يصوركم في الأرحام كيف يشاء) وقال عليه السلام:"إن الله خلق آدم على صورته" أي أن آدم من أول خلقه

1- ابن منظور:لسان العرب،ج ٤، الطبعة: الثالثة، دار صادر – بيروت - 1993 الصفحة 474.

2- الفيروز آبادي،القاموس المحيط،مؤسسة الرسالة، د .ط، د .ت، ص427.

كان شكله إنسانا فلم يكن أبدا شيئا آخر ثم تطور، فالصورة هنا أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة.[1]

وتستعمل مادة (ص و ر)في معانٍ عدّة مختلفة ومتباينة حتى قال ابن فارس:وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق. والصورة تطلق على الخلق والشكل والنوع والصفة والحقيقة، ومعانٍ أخرى كثيرة لكن تبقى أهمها بالنسبة لموضوعنا هذا: التمثال والتمثّل والوهم والتوهّم لما لهما من علاقة وطيدة بالمفهوم الاصطلاحي يقال تصوّرت الشيء إذا مثّلت صورته وشكله في الذهن وتوهمته فيه.[2]

أما الصورة في لغة القرآن الكريم فإن المصور من أسماء الله تعالى، وهو الذي صور جميع الموجودات، ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها. ويظهر هذا المعنى الأخير في سؤال إبراهيم لربه كيف يحي الموتى؛[3] (وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).[4]

وإذا انتقلنا لنرى مدلول الصورة فإننا نلتقي بمادة (ص و ر) في القرآن الكريم قد وردت ست مرات؛ بصيغة الفعل الماضي مرتين:

الأولى: صوَّرَكم في قوله تعالى:(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).[15]

الثانية:صورناكم في قوله تعالى:(لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ).[5]

ومرة بصيغة اسم الفاعل: المصور، في قوله تعالى:(هو اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).[6]

ومرة بصيغة الفعل المضارع يصوركم في قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).[7]

1- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، بيروت 1991- الصفحة 289.
2- ابن فارس؛ أحمد بن زكريا أبو الحسين، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، دمشق 1979، ص 580
3- سورة البقرة الآية 260.
4-سورة آل عمران، الآية 6.
5- سورة الأعراف، الآية 11.
6- سورة الحشر، الآية 24.
7- سورة آل عمران الآية 6.

ومرة بصورة الجمع صوركم في قوله تعالى:(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).[1] ومرة سادسة بصيغة المفرد صورة في قوله:(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ).[2]

ومجمل كلام المفسرين أنّ هذه الألفاظ تدور حول معنى الخلق والإيجاد والتركيب والشكل والهيئة والصفة ولكن ما ينبغي تسجيله ها هنا أنّ التشكيل والتصوير مرحلة أخرى تالية لمرحلة الخلق إذا أُريد بهما معان مختلفة، ولعل التصوير في غالب استعماله متعلق بصفات زائدة على مطلق الآدمية من ذكورة وأنوثة وحسن وقبح وسعادة أو شقاء.

ولطالما ارتبطت الصورة في أذهان الناس بما هو محسوس ومجسّم، فكلمة الصورة تعني في الأصل الشكل المجسم، والأشياء القابلة للرؤية البصرية، وبهذا المعنى استخدمها القرآن الكريم.[3]

وتتكرر مادة (ص و ر) في القرآن في عدد من الآيات، وأما التصوُّر؛ فهو مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها ثم اختزنها في مخيلته مروره بها يتصفحها.[4] وأما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني، فالتصوُّر إذا عقلي أما التصوير فهو شكلـي، ومن هنا فإن التصوُّر هو العلاقة بين الصورة والتصوير، وأداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة.[5] والتصوير في لغة القرآن، ليس تصويرا شكليا بل هو تصوير شامل؛ فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة التي تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور.[6]

ثانيا: تعريف الصورة في الاصطلاح:

لا يكاد ينفصل مصطلح الصورة عن إشاراته المتعددة الدالة على صعوبة تحديده فيشكل مفهوما جامعا لكل أنواع الصور ومانع لغيرها مما لا يدخل في حيزه؛ ولذلك يعد مصطلح الصورة من أكثر المفاهيم الأدبية والنقدية استعمالاً في

1- سورة غافر، الآية 64.

2-سورة الانفطار، الآية 8.

3- شفيع السيد، التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية،دار الفكر العربي،ط 4القاهرة1995، ص 28.

4- صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1988، ص74.

5-الحوماني محمد علي، الصورة والتصور والتصوير، مجلة الرسالة، العدد 64،سنة1934.
https://ar.wikisource.org/wiki

6- صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق،ص 33.

النقد الأدبي. ولعل صعوبة تحديد مفهوم الصورة أمر يشترك فيه مع غيره من المصطلحات النقدية غير المستقرة في بعض الأحيان.
لذلك فإن تعريف مصطلح الصورة يغلب عليه الغموض وعدم الدقة لكونه يستعمل بمعنى عام مبهم جدًا وواسع جدًا، وذلك بالنظر إلى هذا الاستعمال من منظور أسلوبي خاص، وغير دقيق لأن استعمالها ولو في مجال البلاغة المحصور عائم وغير محدد بدقة؛ وصار غموض مفهومها شائعًا بين قسم كبير من الدارسين.[1]
وتعود صعوبة تحديد مفهوم الصورة إلى أسباب متنوعة منها تداول المصطلح في علوم متباينة، واختلاف المذاهب والحركات والمناهج النقدية التي تدرسه، واتساع الصورة لتعبر عن كثير من جوانب الإبداع الإنساني،و كل ذلك يؤدي إلى صعوبة وضع تعريف واحد محدد.
كما يتداخل مفهوم الصورة أيضًا مع مفاهيم أخرى تؤدي إلى تعدد المعنى المراد بالمصطلح، مما يخلق حالة من القلق والصعوبة في تحري العلاقة الوثيقة بين كل هذه المفاهيم.

وبالرغم من أن مصطلح الصورة الفنية يعد مصطلحًا جديدًا على النقد العربي بهذه الصياغة الجديدة له، فإن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تميزت درجات التركيز والاهتمام. فكما أن هناك اتجاه يضيق من مفهوم الصورة، فهناك اتجاه آخر يوسع من مفاهيمها وأشكالها. فالاتجاه الأول يقوم على حصر الصورة في الأشكال والأنماط البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز، وفي ظل هذا كان محور الاهتمام هو الصور الجزئية بشكل عام في الأغلب، وإن كان هذا الاتجاه وسع من مفهوم الصورة بحيث لم تصبح فقط مجرد الاستعارة أو الكناية في ظل الأنماط البلاغية والبيانية القديمة، ولم تعد الصورة البلاغية وحدها المقصودة بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة -بالمعنى الحديث من المجاز أصلاً، فتكون عبارات حقيقة الاستعمال ومع ذلك تشكل صورة دالة على خيال خصب.[2]

بدأت مسألة البحث في أنماط الصورة الفنية، مع الدراسات النفسية، التي انتهت إلى أنّ هناك أنواعا مختلفة من الصور، أهمّها النمط البصري، والنمط السّمعي، والنمط الذوقي، والنمط اللمسي، إلى غير ذلك من الأنماط. لكنّ هذا التصنيف لم ينأى بها عن الوقوع في بعض الحرج الفني، قللّ من شأن أبحاثها ونتائجها؛ فقد تبدو الصورة الفنية عند ناقد لمسية، بينما تبدو لدى آخر بصرية،

1- فرنسوا مورو:البلاغة مدخل لدراسة الصور البيانية،ترجمة :محمد الولي وعائشة جرير، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2003، ص 15.
2-علي البطل :الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس1983 ص 25.

وهكذا، إضافة إلى أنّ الصورة ليست دوما تشكّيلا حسياّ بامتياز، فللعنصر الذهني نكهته الخاصة، وأثره المميّز في تشكّيل الصورة الفنية.[1]

ويقدّم المنهج الفنّي البلاغي أنماطا مختلفة للصورة، يميّز فيها بين التعبير الحقيقي والمجازي، أهمّها: الصورة التشبيهية، والصورة الاستعارية، والصورة المجازية، والصورة الكنائية.كما تعدّ أبحاث هذا المنهج مقدّمةً لدراسة الصورة، بوصفها رمزا، وتتداخل أبحاثهما في الخروج عن الدلالة الوضعية للمفردات أو المحسوسات. إلا أنّ الدلالة الرمزية للصورة ترتبط بمهمّة أنيطت بالصورة الفنية، سواء أكانت حقيقية، أم مجازية، أم كانتا الاثنتين معا، باعتبارها رموزا تستمدّ فاعليتها من التداعي النفسي السيكولوجي.[2]

ويغلب على هذا المنهج الطابع الإحصائي؛بما يتضمّن من تصنيف لأنواع الصور الذهنية، التي يمكن أن توجد لدى شاعر ما، والموضوعات التي تشكّلت منها هذه الصور.[3] لذلك فإن الحديث عن مصطلح الصورة كمصطلح وليس عن معناه وتطبيقاته، التي سبقت ظهوره بكثير، خاصة في تراثنا العربي؛ حيث ظهر هذا الاصطلاح في مناهج النقد الغربية المعاصرة بداية القرن الماضي ولعلّ أوّلها: الصورة الفنية عند شكسبير، وثانيتها: تطور الصورة عند شيكسبير. أما في الأدب العربي فرائد هذا النوع من النقد هو سيد قطب ويرى بعض النقاد غير ذلك حيث أنّ سيد قطب استعمل هذا الاصطلاح في حدود ضيقة جدًّا لم تحط بجميع حيثيات الصورة الفنية فهو لا يتجاوز بها الظلال الحسية التي تشعها العبارات والمعاني.[4]

وتطلق الصورة أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات، ولفظ الاستعارة إذا أُحسِن إدراكه قد يكون أَهْدَى من لفظ الصورة.[5]وجاء في تعقيب على هذا التعريف أنه قَصَرَ الدِّلالة على الاستعمال المجازي، مع أن كثيرا من الصور لا نصيب للمجاز فيها، وهي مع ذلك صور رائعة، خِصبة الخيال، ثَرَّية العاطفة، وتدل على قدرة الأديب على الخلق أيضا.[6]

وينبغي هنا التفريق بين المصطلح وبين تطبيقاته فأمّا المصطلح فلم يكن معروفا لحداثته ولأنّ النقد القديم كان إذا تحدث عن الشكل في الشعر لا يتحدث عنه بوصفه شيئا مكتملا؛أي أنّه كان متوجها لجزئيات الصورة لا لعمومها وكلّيتها

1- عبد الحميد قاوي، مفهوم الصورة الفنية في النقد الأدبي الحديث، مجلة الباحث، مجلد7 عدد6ص38.

2- بشرى موسى صالح :الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، لبنان1994،ص 104.

3- نفسه، ص 107 .

4-محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف القاهرة د.ت،ص32.

5-الولي محمد،الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي المركز الثقافي العربي بيروت1990 ص10

6- عبد القادر القط،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر -دار النهضة، مصر 1981ص..391

ولم يكتشف النقاد الرابط بين هذه الجزئيات المتمثلة في النغم، الاستعارة، التشبيه، إيحاء الألفاظ، سعة المعنى والتضمين.

لكن هذا لم يمنع من تداول الأدباء والنقاد مصطلح الصورة لا بمعناه المحدّد المضبوط والمعروف اليوم ولكن بمعانٍ جزئية أو بمعانٍ قريبة منه هذا على رأي جمهور الدارسين والباحثين المعاصرين وإن كان بعضهم يرى أنّ الصورة إنتاج غربي معاصر ولا أثر لها ولا وجود لا من حيث المصطلح ولا من حيث المعنى والتطبيق في التراث العربي القديم.[1]

ومع أنه لم يرد التصريح بلفظ التصوير أو الصورة بمعناه الدقيق الذي اصطلح عليه النقاد والدارسون اليوم؛ ولكنه ورد بمعاني قريبة منه، أو فيها إشارة إلى معاني التصوير وتطبيقاته.ومن ذلك ما قاله الجاحظ بأن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك. وفيما يتعلق بصورة المرأة عند الجاحظ فهو يذهب بالقول بنقصان عقل النساء: وقد رأينا النساء؛ والنساء أضعف من الرجال عقولا والصبيان أضعف عقولا منهم.[2]

المطلب الثاني: نشأة الصورة عند العرب والغربيين:

إنَّ الدارس للأدب العربي القديم لا يعثر على تعبير الصورة في التراث الأدبي بالمفهوم المتداول الآن، وإنَّ كان الشعر العربي القديم لا يخلو من ضروب التصوير لأن الدارس كان يحصره في مجالات البلاغة المختلفة كالمجاز والتشبيه والاستعارة. ولكن توسَّع مفهوم الصورة في العصر الحديث وعند العرب المحدثين إلى حد أنه أصبح يشمل كل الأدوات التعبيرية مما تَعوَّدنا على دراسته ضمن علم البيان و البديع و المعاني والعَروض والقافية والسَّرد وغيرها من وسائل التعبير الفنِّي.[3]

ولا خلاف في وجود الصورة في التراث العربي القديم لأنّ الشعر قائم عليها ولا تخلو قصيدة قديمة ولا جديدة من التصوير ...إنّما الخلاف في اكتشاف ظاهرة التصوير كأساس لنقد النصوص الأدبية والمفاضلة بينها أو كأساس لإبراز ما وراء المعاني من ظلال وصورٍ.

أما في التراث الغربي فإن أرسطو يربط الصورة بإحدى طرق المحاكاة الثلاث، ويعمِّق الصلة بين الشاعر والرسام، فإذا كان الرسام وهو فنان يستعمل الريشة والألوان، فإن الشاعر يستعمل الألفاظ والمفردات ويصوغها في قالب فني مؤثر يترك أثره في المتلقي.

1- عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية معيارا نقديا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 2010. ص 4.

2- نبيلة مقلاتي، صورة المرأة في القرآن الكريم، مذكرة ليسانس،جامعة البويرة، 2017، ص 6.

3- محمد غنيمي هلال،النقد الأدبي الحديث، دار العودة ، لبنان 1997، ص 376 .

وحتى تكون الصورة حية في النص الأدبي، لها ما لها من مفعول و تأثير، فلا بد لها من خيال يخرجها من النمطية والتقرير والمباشرة، فالخيال هو الذي يحلِّق بالقارئ في الآفاق الرحبة، ويخلق له دنيا جديدة، وعوامل لا مرئية تخرجه من العزلة والتقوقع. فالخيال الذي يرى فيه سقراط نوعا من الجنون العلوي، والأمر نفسه عند أفلاطون الذي كان يعتقد أن الشعراء مسكونون بالأرواح، وهذه الأرواح من الممكن أن تكون خيِّرة كما يمكن أن تكون أرواحا شرّيرة.[1]

فالصورة إذًا حسب نظرية النظم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالصياغة، وليس غريبا أن يراوح النقد العربي مكانه ويهتم بالشكليات والتفريعات والتقنين والتقعيد لمختلف العلوم وبخاصة البلاغية منها، فالجاحظ يرى أن الشعر ضرب من التصوير بينما نجد قدامة بن جعفر قد فتح الباب واسعا أمام المنطق في الشعر، وبالتالي صار مفهوم الصورة متأثرا بهذه الثقافة النقدية حيث أصبحت مقصودة لذاتها، أي أنها غاية وليست وسيلة لفهم الشعر وإبراز جمالياته للمتلقي .فكانت الصورة عند القدماء جزئية لا كاملة، فهي لا تتعدى كونها استعارة و تشبيها وكناية وغيرها من علوم البلاغة التي تهتم بتنميق المعنى ليس إلا.

وفي ظل هذا الموروث بادر عبد القاهر الجرجاني إلى تصحيح المفاهيم المغلوطة ووضع الأصول الصحيحة، لتغيير ما هو سائد عند سابقيه،فلم يتعمَّق أحد من النقاد العرب القدماء ما تعمَّقه الجرجاني في فهم الصورة معتمدا في كل ذلك أساسا على فكرته على عقد الصلة بين الشعر والفنون النفعية وطرق النقش والتصوير.[2]وترتبط الصورة بالخيال ارتباطا وثيقا فبواسطة فاعلية الخيال ونشاطه تنفذ الصورة إلى مُخَيِّلَة المتلقي فتنطبع فيها بشكل معين وهيئة مخصوصة، ناقلة إحساس الشاعر تجاه الأشياء، وانفعاله بِها، وتفاعله معها.[3]

المبحث الثاني: المرأة في عصر الفراعنة:

كان للمرأة المصرية مكانة رفيعة في المجتمع المصري القديم، باعتبارها الشريك الوحيد للرجل في حياته الدينية والدنيوية طبقًا لنظرية الخلق ونشأة الكون الموجودة في المبادئ الدينية الفرعونية، من حيث المساواة القانونية الكاملة وارتباط الرجل بالمرأة لأول مرة بالرباط المقدس من خلال عقود الزواج الأبدية.وكانت تبدو هذه المكانة عصرية بشكل مفاجئ وذلك عند مقارنتها بالمكانة التي شغلتها المرأة في معظم المجتمعات المعاصرة في ذلك الزمن آنذاك، وحتى في العصور السابقة. وعلى الرغم من أنه تقليديًا يحظى الرجال والنساء في مصر

1-إحسّان عباس،فن الشعر ،دار الثقافة،بيروت 1993، ص141

2 -أبو هلال العسكري،الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط 2 بيروت 1984، ص.167

3- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان،بيروت، 1974،ص237.

بامتيازات مختلفة في المجتمع، فإنه من الجلي عدم وجود عوائق لا يمكن حلها في طريق من أراد الخروج عن هذا النمط.

ولقد أخذنا البحث إلى الحديث عن المرأة المصرية القديمة، باعتبارها أكثر النماذج وضوحا وقربا من الوجدان العربي خصوصا والشرقي عموما، كما أن كل النساء المذكورات في القرآن ينتسبن إلى البيئات الشرقية، ومنها مصر التي كانت أيضا أرضا للرسالات.

المطلب الأول: صورة المرأة المصرية في الحياة العامة:

كان المصريون في هذا الوقت لا يعترفون بالمرأة ككائن مساوي للرجل فقط، بل كتكملة له.ولكن بالرغم من هذا كله، فقد استفادت المصريات من الموقف الذي وضِعوا فيه في بعض المجتمعات. ولقد عبرت الديانة المصرية القديمة والأخلاق عن هذا الرأي .ويتضح هذا الاحترام تمامًا في الدين واللاهوت كما في الأخلاق . ولكن كان من الصعب تحديد درجة مطابقتها في حياة المصريين اليومية .ويُعد ذلك، بطبيعة الحال، بعيدًا جدًا عن المجتمع اليوناني وأثينا القديمة، حيث تُعتبر فيه المرأة قاصرة قانونيًا مدى الحياة .ومن جانب آخر، لا يتردد الأدب المصري في تقديم المرأة كطائشة وغريبة الأطوار ولا يمكن الاعتماد عليها. لقد تجاوزت المرأة المصرية في التاريخ الفرعوني هذه المكانة حتى وصلت لدرجة التقديس، فظهرت المعبودات من النساء إلى جانب الآلهة الذكور، بل إن إلهة الحكمة كانت في صورة امرأة، والإلهة إيزيس كانت رمزًا للوفاء والإخلاص.[1]

وجعل المصريون القدماء للعدل إلهة وهي ماعت، وللحب إلهة هي حتحور، وللقوة سخمت.كما حصلت المرأة المصرية على وظيفة دينية في المعابد مثل كبيرة الكاهنات وحتى الملكة حتشبسوت حصلت على لقب يد الإله. واستطاعت المرأة المصرية القديمة الدخول في العديد من ميادين العمل المختلفة، وشاركت في الحياة العامة، وكانت تحضر مجالس الحكم، وكان لها حقوق رضاعة الطفل أثناء العمل، ووصل التقدير العملي لها لدرجة رفعها إلى عرش البلاد، فقد تولين المُلك في عهود قديمة، مثل حتب، وكليوباترا. كما عملت المرأة المصرية بالقضاء والطب ووصلت الكاتبات منهن لمناصب كبيرة.[2]

كانت المرأة المصرية تحي حياة سعيدة في بلد يبدو أن المساواة بين الجنسين فيه أمر طبيعي، وكذلك وضعت الحضارة الفرعونية أول التشريعات والقوانين المنظمة لدور المرأة وأول تلك التشريعات وأهمها تشريعات الزواج أو الرباط المقدس من حيث الحقوق والواجبات والقائمة على الاحترام المتبادل بين الزوج

1-عبد الحليم نور الدين، المرأة في مصر القديمة، المجلس الأعلى للآثار، مصر 2009. ص 4..

2-حسن محمد محي الدين السعدي، معالم في حضارة مصر في العصر الفرعوني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002 ص 177.

والزوجة باعتبارها هي ربة بيت والمتحكمة الأولى فيه، بالإضافة لحقها الكامل والمتساوي مع الرجل فيما يختص بحق الميراث، كذلك كان لها ثلث مال زوجها في حالة قيامه بتطليقها بدون سبب.كما كان المصري القديم دائم الحرص على أن تدفن زوجته معه في مقبرة باعتبارها شريكته في الحياة الدنيا وبعد البعث أيضًا.وحملت المرأة ألقابًا عظيمة في مصر القديمة مثل طاهرة اليدين؛ العظيمة في القصر؛ سيدة الحب، سيدة الجمال؛ عظيمة البهجة، فيما استأثرت ملكات الأسرة الثامنة عشر بالنصيب الأكبر من هذه الألقاب.[1]

المطلب الثاني: صورة المرأة المصرية في الحياة الأدبية القديمة:

إذا كان الرسامون والنحاتون يعرضون المرأة في صورة هادئة في محيط الأسرة المزدهرة، فبالمثل، لم يتردد الكُتاب في جعلها تبدو تافهة ومتقلبة وغير جديرة بالثقة، فهي تبدو وكأنها أصل المصائب المختلفة والملومة على خطايا مختلفة، إلا أن المرأة كانت قد استفادت من هذه الحالة أيضًا.[2]

ظهرت هناك الدعوة للحذر من سوء الفهم فيما يخص إلصاق صفة الإغواء بالمرأة بعض الشيء وتصويرها بشيء من الاحتقار؛ كما استفاد الفرعون غالبًا من تناوله بشكل مماثل من قبل رواة القصص، حيث قدموه بطريقة محدودة ورائعة .الرجل مدعو لرعاية زوجته، لذلك عبر الكاتب بتاححتب، في بردية بريسي، عام 1900 قبل الميلاد: يجب أن تحب زوجتك وتسر قلبها خلال حياتك كلها، واحتفظ كاملا بعلاقتك مع زوجتك .فعندما تتداخل العلاقات، لا يسير الأمر على ما يرام .

وكما ازدهر الأدب ازدهرت الموسيقى وازدهر الغناء للتعبير عن هذه المشاعر. ومن دلالات اهتمام المجتمع المصري بالموسيقى أن جعلوا لها ربة كان لها دور كبير في الديانة المصرية وهي الربة حتحور .وكان لبعض الآلات الموسيقية دورًا في الطقوس الدينية وكان العزف والغناء من أكثر المهن احترامًا وتقديرًا في مصر القديمة.

كشفت دراسة مصرية عن كثير من الدلائل التي تركها الفراعنة للتأكيد على ما تمتعت به المرأة في مصر القديمة من تقدير إنساني ومكانة اجتماعية، وما حققته من نجاحات في مختلف المجالات الحياتية، حتى صارت ملكة تحكم البلاد . وأكدت الدراسة التاريخية أنه لا يوجد معبد أو أثر مصري قديم، لا يحتوي على تمثال أو نقش أو رسم يبرز ويسجل المكانة المتميزة التي تمتعت بها المرأة في مصر القديمة، بجانب برديات تحوي وصايا الحكماء والآباء بحسن معاملة المرأة

1-راندا شوقي الحمامصى، المرأة عبر العصور وحتى قرن النور، الحوار المتمدن، عدد 7256 سنة 2022

2-هيثم السنارى، المرأة في مصر القديمة أوضاع المرأة في المجتمع المصري القديم. https://anbaalshrqalawsat.com

ومعاشرتها كشريك في الحياة، وأن يوفر الرجل لزوجته جميع مستلزمات الحياة من ملابس وكل ما يحفظ لها مكانتها وصورتها في عيون المجتمع المحيط بها، وأن يتشاور معها وأن يشاركها الرأي في كل قرار يخص حياتهما وحياة أبنائهما.[1]

وأوضح عالم المصريات محمد يحيى عويضة في دراسة أصدرها بمناسبة يوم المرأة المصرية بمارس 2016 أن من أشهر المعالم الأثرية التي تركها قدماء المصريين وتبين مدى تقدير الملوك للمرأة الفرعونية، منطقة وادي الملكات غرب الأقصر، وهي أحد أودية جبل القرنة التاريخي، وقد فيه دفنت زوجات الفراعنة. في عصر كان ملوكه وحكامه أكثر تقديرًا للمرأة، وعناية بها وبمكانتها ودورها في المجتمع ومساواتها بالرجل في كل شيء.[2]

ومن المعالم الأثرية التي تؤرخ لمكانة المرأة في مصر القديمة، معبد نفرتاري، المعروف باسم معبد أبو سمبل الصغير، والذي أقامه الملك رمسيس الثاني تكريمًا لنفرتاري؛ ومعبد الملكة حتشبسوت في غرب مدينة الأقصر، ومقبرة حتبحرس في الجيزة، ومعبد دندرة، الذي كُرس لعبادة الإلهة حتحور ربة الحب والجمال والموسيقى في مصر القديمة.[3]

وإذا ما عرَّجنا على المدارس الأدبية الحديثة ونظرتها إلى الصورة، نجد أن البرناسية لا تعترف إلا بالصورة المرئية المجسمة أو ما يسمى بالبلاستيكية بعيدا عن نطاق الذات الفردية، وأما الرَّمزية فهي لا تقف عند حدود الصورة كالبرناسية ولكنها تطلب أن يتجاوزها الفنان إلى أثرها في أعماق النفس أو اللاشعور؛ وبالتالي ابتدعوا وسائلهم الخاصة في التعبير، كتصوير المسموعات بالمبصرات، والمبصرات بالمشمومات؛ وهو ما يسمى بتراسل الحواس، أما السريالية فقد اهتمت بالصورة على أساس أنها جوهر الشعر ولبُّه، وجعلت منها فيضا يتلقَّاه الشاعر نابعا من وجدانه، وبذلك تبدو الصورة خيالية وحالمة. إلا أن الوجودية نظرت إلى الصورة على أنها عمل تركيبي يقوم الخيال ببنائها.[4]

وبهذا فإن مفهوم الصورة الأدبية المتكاملة تشكيل لغوي يُكَوِّنُهَا الخيال من معطيات متعددة، يقف العالَم المحسوس في مقدِّمتها، لأن أغلب الصور مستمَدَّة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية. واللغة العربية بحر وهي لا تشكو الفقر فألفاظها كثيرة، كما قال حافظ إبراهيم عنها:

1-أحمد دراوشة، معالم فرعونية تؤرخ لمكانة المرأة في مصر القديمة،مجلة عرب 48 ، فلسطين 14/03/2016

2-أحمد دراوشة، نفسه.

3-عبد الحميد قبايلي، الصورة الشعرية بين إبداع القدامى وابتداع المحدثين، الجمهورية 12/12 /2010 https://www.yemeress.com/algomhoriah/2126794.

4-الأخضر عيكوس، الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية، مجلة الآداب، عدد1 السنة1994، ص77.

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي.[1]

فالشطر الأول أنا البحر في أحشائه الدر كامن؛ تشبيه جميل للغة العربية في توسعها وكنوزها بالبحر، دليلاً على مدى عظمتها وتجددها. وأما الشطر الثاني؛ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؛ أسلوب استفهام غرضه الفخر، صورة بيانية تصور معاني اللغة وتراكيبها بالأصداف الثمينة. فمثلا حين يصف العرب ألوان أقمشتهم يستخدمون تعابير تصويرية مشتقة من مفردات تذكر بأوراق الزهر والحجارة الكريمة ولمعة الحرير وبريق السماء فتأتي الصورة اللونية ممتزجة بالعاطفة مما يؤدي إلى تخليصها من الجمود والثبات.

لقد بلغت الصورة في النقد الأدبي من الفوائد العظيمة والأهمية الجسيمة أن صارت محفل النقاد وشغلهم الشاغل لا يستحسن نصٌّ ولا يستهجن إلاّ وفقها واعتمادا عليها، فالصوّر بخلاف المعاني المجردة دائمة الحركة والتفاعل والتأقلم مع مختلف ظروف المكان والزمان، وبالصوّر يتمّ التعبير عن كثير من المعاني بقليل من الألفاظ فهي تُسلّط الأضواء على المعاني بأكثر من الألفاظ، من حيث وسائل بيانها بخلاف المعنى المجرد فهو حبيس اللفظ لا يتعدى إلا به، ما يجعل التفاعل بين المتلقي والمعنى قويا لأنه ينقل الحالات الشعورية أو الكثير منها من خلال أسلوب التصوير الذي يشدّ انتباه المتلقي أكثر من المعاني المجردة لما فيها من الطرافة والنكت والمتعة.

المبحث الثالث:مقصدية صورة المرأة في القرآن ودورها في الحياة:

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله؛ فالمسلمة في طفولتها قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها. وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة. فعن أبي سعيد الخدري، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: مَن كانت له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أَخَواتٍ أو ابنتانِ أو أُخْتانِ فأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنّ واتَّقَى اللهَ فيهِنّ فله الجنةُ.[2]

المطلب الأول: صور تكريم المرأة في القرآن الكريم:

يُحسب للمرأة دورها الكبير في المجتمع حالها حال الرجل، فقد شاركت عبر العصور القديمة والحديثة في شتى المجالات، وكان لها أدوار أخرى عديدة كشاعرة وملكة وفقيهة ومحاربة وفنانة ومعالجة وغيرها. ولعل الدور الأساسي يتمثل في بناء أسرتها ورعايتها حيث يقع على عاتقها كأم مسؤولية تربية الأجيال، وتتحمل كزوجة أمر إدارة البيت واقتصاده.منذ بداية العقد العالمي للمرأة وحتى

1- حافظ إبراهيم، ديوان حافظ ابراهيم، اللغةُ العربيةُ تَنعَى حظَّها بين أهلِها، البحر الطويل.

2- سنن الترمذي |أبواب البر والصلة باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات حديث رقم: 1912 .

مؤتمر بكين 1996 ازداد الاهتمام بقضيّة تمكين المرأة، وإتاحة الفرصة لها لممارسة دورها بفعاليّة مثل الرجل، والمساهمة في صنع القرارات في مختلف مجالات الحياة الثقافيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة.وقد أولت العديد من المنظمات والهيئات والدول الاهتمام بهذا المجال، وذلك من خلال إقامة مجموعة من المؤتمرات والندوات، وأشارت هذه الفعاليّات بكافة أشكالها المتنوّعة إلى أهمية تمكين المرأة، وإعطائها الحق الكامل بالعمل في كافة الميادين.[1]

ويُعرّف الدور بأنه مجموعة من الصفات والتوقعات المحددة اجتماعيّاً والمرتبطة بمكانة معينة، وللدور أهميّة اجتماعيّة؛ لأنه يوضّح أنّ أنشطة الأفراد محكومة اجتماعيّاً، وتتبع نماذج سلوكيّة محددة، فالمرأة في أسرتها تشغل مكانة اجتماعيّة معينة، ويُتوقع منها القيام بمجموعة من الأنماط السلوكية تمثّل الدور المطلوب منها، وتتجلى مساهمة المرأة وأثرها في المجتمع من خلال مساهمتها في بناء الأجيال .

وتُشكّل جزءاً لا يستهان به من المجتمعات فالأم مصدر الرعاية والحنان في الأسرة، وقد أثبتت العديد من الدراسات أنّ الطفل بحاجة إلى الرعاية والاهتمام أكثر من حاجته إلى الأمور الماديّة في مراحله العمرية الأولى.فالأم تعتبر المعلم الوحيد لطفلها ووظيفتها التربويّة ذات أثر عميق في نفسه؛ لما لها من دور في تنمية وعيه، وثقته بنفسه، وتكوين شخصيّته وتهيئتها. وبسبب أهمية هذه المرحلة في حياة الطفل لا بدّ أن يبقى تحت مراقبة الأم ومتابعتها؛ إذ إنّ ما يتلقاه في السنوات الأولى يستمر معه لباقي حياته.

وقد قرر الإسلام في القرآن المساواة بين المرأة والرجل في جوانب عديدة، وأمر وأقر بالعدل في ميادين أخرى، وهو ما يُحقق الرضا والمودة بين الجنسين. وأما عن ميادين المساواة فقد قال الله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)،[2] لما ذكر الله تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال:بعضهم أولياء بعض أي يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الحديث الصحيح:"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه"،[3] وفي الصحيح أيضا:مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.[4]

1- مزاهر القدال، في اليوم العالمي للمرأة . https://www.medameek.com/?p=39606

2- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 2001، سورة التوبة - الآية 71. ص 290.

3- البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق 2002، الحديث 481.ص 235.

4- أخرجه البخاري حديث رقم (6011)، ومسلم حديث رقم (2586) واللفظ له

لقد فرض الله على المؤمنين والمؤمنات بعض الفرائض المشتركة؛ كأن يكون بعضهم أولياء بعض، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، مقيمين الصلاة مؤتين الزكاة، مطيعين لله ورسوله؛في هذه الفرائض التي نسميها الفرائض العبادية، لا فرق بين الرجال والنساء، بل فرضها الله لكليهما، وذكر النساء جنب الرجال وفرض لهن ما فرض للرجال من الواجبات، يعني التسوية بين الرجال والنساء في أداء الفرائض. كما ذكر الله تعالى النساء جنب الرجال في الإسلام والإيمان والإطاعة والصدق والصبر إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).[23]

قال مقاتل: قالت أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم: ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه، نخشى أن لا يكون فيهن خير؟ فنزلت هذه الآية. وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا. فأتت النبي فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: ومم ذاك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله هذه الآية:إن المسلمين والمسلمات...[1]ومما روي عن أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:قد سبق المفردون قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات.[2]

لقد خص الله تعالى النساء بالذكر منفردات في بعض الآيات خاصة فيما تعلق بالواجبات الخاصة بالنساء، كواجبات الأمومة.

في قوله تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ).[3] هذا النص كما يذكر الشوكاني هو خبر في معنى الأمر للدلالة على تحقق مضمونه، وجاء التأكيد على ذلك بلفظ كاملين، وأن ذلك هو التمام للرضاعة، وبالتالي فإن فيه (تنبيهاً على تأكيده لأن لبنها –أي الأم- أولى بولدها من غيرها ليكون مغذاه وليداً من مغذاه جنيناً، فكان الأحق أن يرضعن أولادهن، وبذلك نجد أن هذا النص يشير إلى أنه لا أصلح للصبي من لبن أمه، ولئن جاءت المدة حولين مؤكدة بلفظ كاملين في سياق ضرورة تحمل الأب نفقة الإعاشة والكسوة والإرضاع في حدود المعروف، فإنها جعلت أولوية الإرضاع لأم الوليد، وإلا

1-السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار السلام للنشر، الرياض2002. ص779

2- أخرجه مسلم في صحيحه، ص 2676.

3- سورة البقرة الآية 233..

أرضعته سواها بنفقة، والملاحظ هنا أن الآية لم يُلتفت فيها إلى ألبان الحيوان، لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾.[1]

ويوصي الله الإنسان بأن يحسن في صحبته لوالديه بِرًّا بهما في حياتهما وبعد مماتهما، ويخص الأم بالذكر؛ فقد حملته أمه جنينًا في بطنها على مشقة وتعب وكرها، وولدته على ذلك أيضًا، ومدة حمله وفطامه ثلاثون شهرًا، في قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا).[2] وفيه كذلك دليل على أن حق الأم على ولدها أعظم من حق الأب. وهذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه الإحسان. ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة، وليست المدة المذكورة مدة يسيرة ساعة أو ساعتين، وإنما ذلك في مدة طويلة قدرها (ثَلَاثُونَ شَهْرًا) للحمل تسعة أشهر ونحوها والباقي للرضاع هذا هو الغالب.ويستدل بهذه الآية مع قوله تعالى:(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر وهي أقل مدة للحمل. فجمع في الآية أقل الحمل وتمام الرضاع.[3]

وفي قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ).[4] أي أمرنا الإنسان ببرّ والديه فقد حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وضعفا على ضعف، وشدّة على شدّة، ومنه قول زهير:

فَلَـئِنْ يَقُولُـوا بِحَـبْلٍ وَاهِنٍ خَـلَقٍ لَو كانَ قوْمُكَ فِـي أسْـبابِه هَلَكُوا.[5]

وعهد الله إلي الإنسان أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكمت قواك. ثم إلى الله مصيرك أيها الإنسان، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لوالديك، وبرّك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفولتك

1- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت 1993 ص 281.

2- سورة الأحقاف، الآية 15.

3- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية 2004.. 10/34.

4- سورة لقمان،الآية 14

5-علي حسن فاعور، زهير بن أبي سلمى،ديوان، دار الكتب العلمية، 1988.
قصيدة: بانَ الخَليطُ وَلَم يَأوُوا لِمَن تَرَكوا وَزَوَّدوكَ اِشتِياقاً أَيَّةً سَلَكوا

وصباك، وما اصطنعا إليك في برّهما بك، وتحننهما عليك.وذُكر أن هذه الآية نـزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه.

وعن مصعب بن سعد، قال: حلفت أمّ سعد أن لا تأكل ولا تشرب، حتى يتحوّل سعد عن دينه، قال: فأبى عليها، فلم تزل كذلك حتى غشي عليها، قال: فأتاها بنوها فسقوها، قال: فلما أفاقت دعت الله عليه، فنـزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ.....فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا). وقال سعد بن مالك: نـزلت فيّ :(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) قال: لما أسلمت، حلفت أمي لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا، قال : فناشدتها أوّل يوم، فأبت وصبرت، فلما كان اليوم الثاني ناشدتها، فأبت، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت: والله، لو كانت لك مئة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا، فلما رأت ذلك، وعرفت أني لست فاعلا أكلت.[31] فالبر يكون في المعروف ما لم يكن أمرا بشرك، أو مخالفة شرعية رتب عليها الشارع الحكيم عقوبة.[1]

وهنا نشير إلى ما ذكره القرآن الكريم من الواجبات الزوجية، كقوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا).[2] إضافة إلى الواجبات الأخرى المذكورة في سورة النور المباركة، يمكن الرجوع إليها والاطلاع عليها في مظانها من خلال التفاسير والدراسات والكتابات السابقة في هذا الموضوع.

وإن كان هناك من تقصير في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام فإنما هو بسبب القصور والجهل، والبُعد عن تطبيق شرائع الدين، والوزر في ذلك على من أخطأ والدين براء من تبعة تلك النقائص، وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وأحكامه؛ لعلاج الخطأ. لقد كانت هذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال؛ عفة، وصيانة، ومودة، ورحمة، ورعاية، إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية. أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة، وما علموا أن ذلك هو سبب شقائها وعذابها.[3]

أما المرأة في الإسلام فقد فرض الله احترامها في كل الصور التي ظهرت فيها المرأة في القرآن؛ فقد عظم حقها، ورفع قدر تنافس أولادها وأقاربها على

1-صحيح مسلم،كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، حديث رقم: 6238.

2-سورة النساء، الآية 34.

3- جريدة الأيام، تكريم الإسلام للمرأة المسلمة، العدد 8495 الجمعة 13 يوليو 2012.

برها إن كانت أما، فبرُّها مقروناً بحق الله تعالى وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله، والفساد في الأرض. (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)[1]. وجاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أولى الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال:أبوك.[2]

وإذا كانت هذه المرأة أختاً فهي التي أُمر المسلم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها. وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة. وإذا كانت جدة، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها، وأحفادها، وجميع أقاربها؛ فلا يكاد يرد لها طلب، ولا يُسَفَّه لها رأي. وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان له حق الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر ونحو ذلك. وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً وصورة لا يوجد لها مثيل عند المجتمعات غير المسلمة. بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، قال عز وجل: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).[3]

وإذا تزوجت المرأة كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وليس حسن العشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب؛ فواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها. والإنفاق عليها، إحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها أو الإساءة إليها. وأباح لها أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها؛ ومن إكرام القرآن أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة؛ فأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها. فصورة المرأة في القرآن أنها إنسان مكرم داخل في قوله تعالى:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً).[4]

هذه هي صورة المرأة في القرآن؛ وهذا إكرامُ الإسلام للمرأة، جَعْلُتها إنساناً مكرماً ولهذا نرى أن المرأة المسلمة تسعد في دنياها مع أسرتها وفي كنف والديها، ورعاية زوجها، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها، أو شبابها، أو هرمها، وفي حال فقرها أو غناها، أو صحتها أو مرضها.

1- سورة الإسراء الآيتين 23 و 24.
2- أخرجه البخاري (5971)، ومسلم (2548).
3- سورة البقرة الآية 288.
4- سورة الإسراء الآية 70.

المطلب الثاني: دلالات حضور صورة المرأة في القرآن:

يشكل حضور المرأة في القرآن الكريم أحد أهم المؤشرات على قيمتها وأهميتها في كتاب الله العزيز، ويقصد بالحضور هنا الحضور المصطلحي والمفاهيمي خاصة، حيث تصور المرأة فيه من خلال مجموعة من الألفاظ والمصطلحات الدالة عليها، من جهة، ومن خلال نسق من المفاهيم التي ترتبط بموضوعاتها من جهة ثانية، وفضلا عن ذلك يمكن تمييز سور بأكملها خصصت حيزا مهما منها لمعالجة قضايا المرأة، منها سور كالنساء، مريم، الطلاق، التحريم والممتحنة والمجادلة، وهي سور ارتبطت أسماؤها بنماذج من النساء.

على أن أكبر حضور للمرأة نستطيع تلمسه بالأرقام والدلالات من خلال الألفاظ الدالة على المرأة، كالنساء، والمرأة، والأنثى، والأم، والوالدة، والزوج، والأهل، والحليلة، والصاحبة، والأخت، والبنت. وذلك ما سنبينه في ما يأتي.

لقد ورد لفظ النساء في القرآن الكريم بهذه الصيغة، وبصيغة المفرد امرأة، والمثنى منه امرأتان، والجمع الآخر نسوة خمسا وثمانين مرة. مع ملاحظة أن لفظ (امرأة) مفرد لا جمع له من لفظه، ولفظ نساء جمع لا مفرد له من لفظه؛ والعلّة فيه أنّه لم يُسمع عن العربِ مفردٌ من جنس لفظِ نسوة، ولا جمعٌ من جنس لفظِ امرأة. ونقول اِمْرَأَةٌ عِنْدَ التَّنْكيرِ والْمَرْأَةُ عِنْدَ التَّعْريفِ.[1]وبنظرة أولية إلى موارد هذه الألفاظ، يلاحظ :أن لفظ نساء يأتي ذكره في القرآن المدني أكثر، ولفظ امرأة يأتي في القرآن المكي أكثر.إذ كثر استعمال الأول في سياق التشريعات الأسرية والاجتماعية، بينما غلب على الثاني استعماله في سياق القصص القرآني.[2]

أما لفظ نساء فقد ورد بصيغ مختلفة: نساء، النساء، نسائك، نسائكم، نسائهم، نساء النبي؛ وهذه الصيغ منها ما تعلق بأحكام تشرع لعلاقة الرجل مع المرأة في أوضاع معينة، كالزنا والتعدد والقوامة،ومنها ما ارتبط بأحكام الأسرة عموما، كالزواج والخطبة والطلاق والظهار والإيلاء والإرث.ومنها ما تعلق بأحكام تشترك فيها المرأة مع سائر أفراد الأمة، كالكسب والعمل والجهاد والهجرة.أما باقي الموارد فهي مرتبطة بقصص بعض الأنبياء، كقصة فرعون مع أتباع موسى وتذبيحه الأبناء منهم واستحيائه النساء. وقصة قوم لوط الذين كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقصة مريم التي اصطفاها الله عز وجل على نساء العالمين، ثم قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد النصارى الذين حاجوه في مولد عيسى عليه السلام فدعاهم للمباهلة.

وأما لفظ امرأة فقد استعمل في أغلب موارده مضافا إلى الرجل، سواء أذكر باسمه أو بكناية الضمير عنه، كامرأة نوح وامرأة عمران وامرأة فرعون، ولم يرد

1- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة 2008، مادة امرأة.

2- عبد المنعم الهاشمي،قصص النساء في القرآن-للناشئة،دار بن حزم بيروت، 1998 .

منفصلا عن الإضافة إلا في ست مواضع.والمرأة في كل هذا تمثل نماذج معينة من النساء مرت في التاريخ، وسيقت للاعتبار.وأما صيغة المثنى امرأتان والجمع نسوة، فقد وردت كل واحدة منهما مرتين، ثلاث منها مرتبطة بقصص الأنبياء، وواحدة تتعلق بموضوع الشهادة في آية الدين.

يتبين من خلال ما سبق مركزية مفهوم صورة النساء داخل نسق المفاهيم التشريعية المنظمة للعلاقات في المجتمع، كما تتبين أهمية المرأة في صورة أنموذج يسهم في بناء تصور سلوكي وعقدي سليم لدى الإنسان عموما، ولدى المرأة على وجه الخصوص.

أما كلمة أنثى، فقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بصيغ الإفراد أنثى، والمثنى أنثيين، والجمع إناث ثلاثين مرة أغلبها في السور المكية وارتبطت بمسألة خلق الكائنات جميعا من ذكر وأنثى بما في ذلك الإنسان، وبمسألة العمل والجزاء، والتسوية بين الذكر والأنثى فيهما، ثم بموقف العرب قبل الإسلام من الأنثى.أما ما جاء من اللفظ في السور المدنية وهو قليل فقد جاء في سياق بعض التشريعات المتعلقة بالإرث والقصاص، هذا فضلا عن الآيات التي عالجت بعض المسائل ذات الارتباط بهذه القضايا، كعلم الله المطلق بما تحمل كل أنثى، وإرجاع تحديد جنس المولود إلى مشيئته عز وجل.[1]

والملاحظ عموما أن أغلب استعمالات القرآن الكريم لهذا اللفظ تنأى به عن معناه اللغوي الذي حصره في الجنس المقابل للذكر، المتميز بصفة اللين، لتربطه بعوالم أوسع .وإذا كانت الدلالة اللغوية تركز على التقابل بين الذكر والأنثى بما يوحي بنوع من التضاد، فإن أغلب الاستعمالات القرآنية للفظ تؤكد على التوحد والتكامل بينهما، سواء على مستوى الخلق أو على مستوى العمل والجزاء،وما سوى ذلك من تمايز وفرق فإنه يعود إلى اعتبارات تتعلق بطبيعة التكوين الخلقي.

وعُبر عن مفهوم الأمومة في القرآن الكريم تارة بلفظ الأم وهو الأكثر، وتارة بلفظ الوالدة وهو قليل، واللافت للنظر هو أن لفظ الأم بصيغتي المفرد والجمع وفي سياقات مختلفة؛في قصة موسى وقصة عيسى عليهما السلام، كما ورد ذكره في حديث القرآن عن مراحل خلق الإنسان، وفي حديثه عن حمل الأم ومشقته ومدته،

1-﴿فلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾36 آل عمران

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِن أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي.. ﴾.47فصلت

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾...11النساء

﴿إِنيَدْعُونَمِندُونِهِإِلَّاإِنَاثًاوَ إِنيَدْعُونَإِلَّاشَيْطَانًامَّرِيدًا117﴾النساء

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ الشورى 49

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ(27النجم﴾

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾45النجم.

وذلك في سياق الحث على خلق الإحسان إلى الوالدين، ثم في حديثه عن طبيعة العلاقة بين الإنسان وأمه وسائر أفراد أسرته يوم القيامة.جاءت مفردة،كما أتى ذكر الأم بصيغة الجمع على الخصوص في مواطن ذكر بعض التشريعات كذكر المحرمات من النساء في الزواج ومنهن الأمهات، وأمهات الزوجات، والأمهات من الرضاعة، وحكم الظهار، وبيان حصة الأم من الإرث في حال وجود الابن أو عدم وجوده. ثم في سياق تحديد صفات زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمسلمين واعتبارهن أمهات لهم بما يكفل لهن تلك الخصوصية وذلك التشريف المناسب لوضعهن.

وبذلك يكون مفهوم الأم شاملا لصفات المرأة الحبلى، والمرضعة، والقائمة على رعاية الولد، وتلكم التي كبرت واستحقت الإحسان. وبذلك تكون صفة الأم صفة ملازمة للمرأة من حين حملها لولدها إلى أن تصبح هي في مقام تحتاج فيه إلى الرعاية والإحسان.

أما لفظ الزوج، فقد ورد في القرآن الكريم مفردا ومثنى وجمعا للدلالة على المرأة المتزوجة، ويأتي أحيانا للدلالة على الرجل والمرأة معا وذلك بصيغة الجمع أزواج. ويشار هنا إلى أن القرآن الكريم لم يستعمل قط لفظ الزوجة وهو لغة شاذة عند العرب، وهذا اللفظ شائع الاستعمال في العصر الحديث ويستعمل عادة للدلالة على المرأة المتزوجة،وثبتَ في اللّغة أيضًا - وهي قليلة - التّفريقُ بينهما بزيادة الهاء. يقال: الرجلُ زوجُ المرأة، والمرأةُ زوْجَة الرجل؛ وليست باللّغة العالية، أما القرآن فهو يستعمل لفظ الزوج للدلالة على المرأة والرجل معا وهو الأفصح والأصح في اللغة.[1]وحاصل القول أن لفظ (الزوج) في القرآن الكريم ورد على ثلاثة معان رئيسة؛إما على معنى زوجة الرجل وحليلته، وإما على معنى القرين، وإما على معنى الصنف، والسياق والسباق هو الذي يحدد أي المعاني الثلاثة هو المراد.

وفي مقابل هذه المعاني يأتي لفظ الزوج بصيغه المختلفة بمعنى الصنف والنوع واللون سواء تعلق الأمر بنوع الإنسان؛ الذكر والأنثى، أو بنوع النبات والحيوان.أما الصيغ الفعلية من فعل زوّج فقد جاء فعل التزويج في جلها منسوبا إلى الله عز وجل.[2]

وبالتأمل في هذه الموارد جميعا يمكن أن نستنتج أن الدلالة العامة للفظ الزوج بمختلف صيغه لا تكاد تخرج عن معنى الصنف والنوع، ثم يتفرع ذلك المعنى ليشمل النوع الإنساني، أي المرأة والرجل، ثم النوع غير الإنساني، أي الحيوان

1-محمد تبركان، الدلالات التي تحملها لفظة (زوج) في اللغة، شبكة الألوكة ،14/3/2015.

2- محمد أبو زهرة، محاضرات في عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي القاهرة، 1977.

والنبات وسائر الكائنات. وهذا يؤكد مفهوم الأنثى الذي يدل على النوع المكمل للإنسان، ولذلك يأتي ذكرها في الغالب مقرونا بالنوع المقابل لها وهوالذكر.

ومما يميز لفظ الزوج أيضا دلالته على الوحدة والمساواة في الصورة بين النوعين، فالمرأة والرجل معا يؤولان إلى جنس الإنسان، لكن المثير في هذا المعنى أنه ينطوي على تنوع داخل هذا الجنس، وهو التنوع المؤدي إلى التقابل، والمستلزم للتكامل، بحيث لا تستقيم حياة الجنسين معا إلا بهذا التكامل، فلا يستقيم وجود زوج إلا بوجود زوجه؛وهذا الأمر لا يقتصر على جنس الإنسان فحسب، بل يشمل سائر الأنواع من المخلوقات.[1]

وإذا تبين هذا، علمنا أن صورة المرأة كزوج هي الجزء الآخر المكوّن للوجود الإنساني، والمتناغم مع الوجود الكوني عامة. وهي مع ذلك جزء لا يستقيم الوجود الإنساني ولا تكتمل صورة الوجود الكوني بدونه.والظاهر أن دلالة لفظ الزوج على المرأة هي الغالبة على استعمال لفظ الزوج في القرآن. وداخل هذا المعنى العام يمكن أن نميز بين مجالات مختلفة تحدث فيها القرآن عن صورة المرأة كزوج.

لقد جاء حديث القرآن عن الخلق؛خلق المرأة في صورتها الأولى أم البشر حواء من آدم عليه السلام، ثم تكاثر الخلق بالاشتراك بين المرأة الأنثى والرجل. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾،[2] ومن ثم تحدث القرآن الكريم عن الزوج ضمن قصة آدم عليه السلام مع إبليس وهذه القصة من أهم القصص المحددة لطبيعة المرأة وصورتها في القرآن.

كما تحدث عن صور الأزواج، في سياق قصصي، لكل صورة وقصة منها دلالة ومغزى. ثم جاء حديث القرآن عن المرأة كزوج، في مواضع كثيرة ضمن سياق تشريعي، باعتبارها جزءا من الأسرة وقسيما للرجل تربطها به علاقات متشابكة تؤول جميعها إلى رابطة الزوجية، ليس الزوجية الكلية العامة التي تجمع المخلوقات جميعا، بل الزوجية التوافقية الناتجة عن عقد الزواج القائم على الرضا والقبول.

والملاحظ أن أغلب موارد مفهوم الزوج في هذا القسم المتعلق بالتشريعات والأحكام، تتعلق بالزواج وما يقابله من افتراق سواء أكان إراديا أو غير إرادي، كما أننا يمكن أن نميز في هذه التشريعات بين ما جاء خاصا بالنبي صلى الله عليه

1- قال ابن كثير: «أي: جميع المخلوقات أزواج؛ سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال:(لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الذاريات:49؛ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له»

2- سورة الأعراف، الآية 188.

وسلم وأزواجه، وما جاء عاما له ولأمته.وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم لا يستعمل لفظ الزواج، وإنما ورد فيه فعل التزويج مثل:زوّجناكم نزوّجهم زُوّجت وهيمن زوّج يُزوّج بمعنى قرن وجمع بين زوجين، ومصدر الفعل زوّج هو التزويج، وهو الأصح في الدلالة على صورة الزوج.

ثم يأتي حديث القرآن عن المرأة كزوج في الآخرة؛ حيث يبيّن مآلها يوم القيامة من خلال صورتين:

الصورة الأولى: تكون فيها زوجا للرجل المؤمن من أهل الجنة.

الصورة الثانية: تكون فيها مع زوجها غير المؤمن تَصلى معه نفس العذاب؛ وهذا فيه إشارة إلى معنى الاقتران الذي يدل عليه لفظ الزوج في اللغة.

أما كلمة الأهل فإن المتتبع لألفاظ القرآن يجدها كثيرة الورود، فهي عموما جاءت مضافة إلى غير الرجل؛ أي إلى ديانة كأهل الكتاب وأهل الإنجيل أو مكان كأهل القرية وأهل البيت، وأهل يثرب. أما ما يزيد على نصف ورود مادة أهل في القرآن الكريم، جاء للدلالة على الأسرة عامة، وعلى المرأة خاصة. وإذا كان الغالب على لفظ الأهل أن يضاف إلى الرجل، فإننا نجده في موضع واحد يضاف إلى النساء في قوله تعالى من سورة النساء:(فانكحوهن بإذن أهلهن) الذي جاء في سياق الحديث عن صورة الزواج بغير الحرائر من النساء.فدل لفظ الأهل بالنسبة للمرأة على مولاها الذي هو وليها في الزواج .وسمي مولاها أهلالها لما يجمعهما من صلة الموالاة.[1]

وإذا نظر في المعنى الأول أعلاه الذي يأتي فيه كلمة أهل للدلالة على أسرة الرجل عموما، فإن القرآن الكريم يحدد سمات هذه الأسرة في عنصرين أساسيين هما:النسب والدين؛ أما العنصر الأول فهو ثابت لا يتغير، لأنه يشكل قوام الأسرة، ويحدد العنصر البشري المكون لها، إذ النسب هو ما يحدد أفراد الأسرة من الأصول صعودا وإلى الفروع نزولا. وأما العنصر الثاني وهو الدين، فهو متغير، مع أنه يشكل القوام الروحي للأسرة،[2] وهو متغير نظرا لخاصية الاختيار والحرية التي خص الله عز وجل بها الإنسان اتجاه الدين، فكثيرا ما نجد أهل الرجل وهم أسرته يجمعه وإياهم النسب، ولا يجمعه وإياهم الدين والعقيدة.

ولحكمة بالغة جعل الله عز وجل الدين عنصرا متغيرا في بناء الأسرة، في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ

1- خالد محمد شويل، الأهل والآل في القرآن الكريم والسنة النبوية، إي-كتب للنشر والتوزيع ب ت، ص 35 وما بعدها.

2- حنان عبد الحميد العناني، تنمية المفاهيم الاجتماعية والدينية في مرحلة الطفولة المبكرة، دار الفكر، الأردن 2005،ص200.

يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).[1]

وقد يكون من تجلياتها إجراء سنة التدافع التي لولاها لفسدت الأرض. ولعل في قصص بعض الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم وورد فيها لفظ الأهل ما يؤكد هذا الأمر، كقصة نوح مع ابنه. ولهذا كان المجال الذي ورد فيه لفظ الأهل بمعنى الأسرة في القرآن الكريم، في الغالب، مجال قصص الأنبياء، ونجد هذه الآيات في السور التي ساقت هذه القصص كسورة يوسف، وهود، والنمل والأنبياء والقصص والصافات وطه والشعراء.

كما ورد لفظ الصاحبة في القرآن الكريم ليدل فيها على المرأة الزوج، لكن المميز لهذه الموارد أنها استعملت في مجال عقدي، فتارة تأتي في سياق نفي المماثلة بين الله عز وجل وخلقه حيث نفى عن نفسه اتخاذ الزوج والأولاد (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ).[2] وتارة تأتي في سياق وصف هول يوم القيامة (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه)،[3]واستعمال لفظ الصاحبة هنا للدلالة على الزوج له ما يبرره؛ لأنه أكثر الألفاظ دلالة على الملازمة بين الزوجين ولذلك كانت الصحبة أبلغ من الاجتماع، لأنها تقتضي طولا في مدة الملازمة أكثر مما يقتضيه الاجتماع.ولهذا استعمله القرآن الكريم للدلالة على هول يوم القيامة حيث تنفك عرى الزوجية ويذهل كل زوج عن زوجه رغم ما كان يجمعهما من ملازمة دائمة، كما استعمل القرآن هذا اللفظ بالذات لتنزيه الله عز وجل عن اتخاذ الزوج الذي يعد سمة للطبيعة الإنسانية.

أما لفظ حليلة، فقد جاء في القرآن الكريم مرة واحدة في صيغة الجمع حلائل، للدلالة على المرأة في سياق ذكر المحرمات من النساء في الزواج :(وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُم).[4]والتعبير بالحليلة يحيل على معنى الحلال فالمرأة حلال الرجل بموجب الزوجية، وقد يحيل أيضا على معنى الحلول، إذ المرأة تحل مع الزوج في مكان واحد.

كما ورد لفظ البنت في القرآن الكريم البنت، مرة واحدة بصيغة الإفراد ومرة واحدة بصيغة التثنية وباقي الموارد بصيغة الجمع، وبالنظر في هذه الموارد نجد اللفظ حاضرا في مجالات ثلاثة؛ في مجال القصص القرآني، حيث يحضر في قصة لوط وقصة موسى، وقصة مريم عليهم السلام، وفي مجال الأحكام العقدية، حيث ذكر لفظ البنات في مقابل البنين عند حديث القرآن عن بعض العقائد الفاسدة

1- سورة الممتحنة ، الآية 10.
2- سورة الأنعام ،الآية 101.
3- سورة عبس الآيات 34-35- 36.
4- سورة النساء، الآية 23

لدى المشركين كادعاء البنات والبنين لله سبحانه، وادعاؤهم أن الملائكة بنات الله سبحانه، وأما في مجال الأحكام التشريعية، فقد ذكرت البنت ضمن تشريعات الزواج، حيث اعتبرت البنت من المحرمات في الزواج، والبنت بهذا المفهوم تطلق على الفرع من الرجل وإن نزل، أي على البنت وبنت البنت وهكذا، وذكرت في نفس السياق بنات الأخ، اللاتي يدخلن ضمن فروع الآباء. وبهذا يأتي لفظ البنت ليدل على موقع للمرأة داخل الأسرة، فالبنت تمثل فروع الرجل، وفروع الآباء، وفروع الأجداد أيضا كبنات العمومة والخؤولة.

أما لفظ الأخت، فورد بصيغ الإفراد والتثنية والجمع، ويستعمل غالبا للدلالة على المرأة المشاركة للرجل في النسب، واستعمل في موضعين للدلالة على المشاركة في الصفة كما في قوله عز وجل: (قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا).[1]أما باقي الموارد فجاء جزء منها في مجال تشريعي، ضمن موضوعات الإرث، والزواج، والحجاب، وآداب الاستئذان.وجاء جزء آخر في مجال القصص القرآني، ضمن قصتي مريم وموسى عليهما السلام.

تلك إذن الألفاظ التي دلت على صورة المرأة في القرآن الكريم في أوضاع مختلفة؛ المرأة الأنثى، الزوج، الأم، الوالدة، الأخت والبنت، وهي تعكس جانبا من الحضور المميز للمرأة في القرآن الكريم كلام رب العالمين.

خاتمة الفصل الأول:

نخلص مما سبق أنّ المعاني المجردة من الصور تخاطب الذهن والوعي فقط، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة. أما الصور فتخاطب الحسّ والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى؛ تصل عبر الحواس بالتخييل ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء.ويكون في الذهن منفذا واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المفرد الوحيد. ولقد منحت الصورة عموما، وصورة المرأة خصوصا الأدب العالمي عموما، والعربي خصوصا، الحياة والجدّة والحركة. فالصورة تبثّ النبض في الحياة وتبعث الروح في الجمادات وتعطي الشيء المألوف المعتاد والمعروف جدّةٌ لا تعطيها له المعاني المجردة؛ حيث يدرك المتلقي من خلال الصورة ما لا يدركه المصدر نفسه، ووصول فكرة وتجربة المصدر للمتلقي من خلال الصور آكد وأبلغ منه بالمعنى المجرد؛ لأنّ المتلقي يشارك في إيجاد هذه الصور وصياغتها بخلاف المعاني المجردة التي لا علاقة له بها.

وهكذا كانت الصورة عند القدماء وما تزال موضوعا مخصوصا بالمدح والثناء، ولها من الحظوة بمكان، والعجيب أن يكون هذا موضع إجماع بين نقاد

1- سورة الأعراف الآية 38.

ينتمون إلى عصور وثقافات متنوعة. كما كان لصورة المرأة نفس النصيب من النقاش. ولازالت صورة المرأة تفرض علينا أن نعود إليها ما بين الحين والحين، ولا عجب فالمرأة نصف المجتمع، هي نصف المجتمع من حيث العدد، ولعلها أحياناً تكون أكثر من النصف من حيث التأثير، فهي تؤثر على زوجها وعلى أولادها سلباً أو إيجاباً، والمرأة هي الأم، وهي البنت، وهي الزوجة، وهي الأخت، وهي العمة، وهي الخالة.

إن الرجل والمرأة يتكاملان، وأساس ذلك قول الله تعالى في الآية 195 من آل عمران:(فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ) ومعنى بعضكم من بعض؛ أي المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، فليسا خصمانِ، ولا عدوان، إنما كل منهما يكمل الآخر، وجهان لصورة واحدة، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، وهذه خلاصة صورة المرأة في الأدب والقرآن الكريم بشكل أو بآخر. وسنناقش في الفصل الثاني من هذا البحث دلالة صورة المرأة في القرآن الكريم.

الفصل الثاني
دلالة صورة المرأة
في القرآن الكريم

تمهيد.

إن الباحث في دلالة صورة المرأة في القرآن الكريم يجد أن لها أدوارا كبيرة في المجتمع حالها حال الرجل، فقد شاركت المرأة عبر العصور القديمة والحديثة في شتى المجالات، وكان لها أدوار أخرى عديدة كشاعرة، ملكة، فقيهة، محاربة، فنانة، معالجة، كما أن لها الفضل في العديد من الاختراعات، إضافة إلى الدور الأساسي وهو بناء أسرتها ورعايتها حيث تقع على عاتقها كامل مسؤولية تربية الأجيال، وتتحمل كزوج أمر إدارة البيت واقتصاده وجل أموره، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

إن الصفة التي وصفت بها المرأة والصورة التي صورت بها في القرآن الكريم، هي الصفة التي خلقت عليها، أو هي صورتها على طبيعتها التي تحي بها مع نفسها ومع ذويها. والمرأة مجبولة على التناقض بين شعورها بالشخصية الفردية، وشعورها بالآخرين. فهي كجميع المخلوقات الحية ذات وجود شخصي مستقل تحرص عليه، وتأبى أن تلغيه أو أن تتخلى عن ملامحه ومعالمه، وهى في حوزتها الشخصية مدفوعة إلى صد كل افتيات ينذرها بالفناء في شخصية أخرى.[1]

المبحث الأول: نماذج للمرأة في القرآن:

ذكر القرآن الكريم عدة من النساء، منهن الصالحات، ومنهن السيئات، وضرب ببعضهن مثالًا ومن كلا الجانبين، سنمر بهن في المطلبين التاليين.

المطلب الأول: صور النساء الصالحات في الكتاب الكريم:

من النساء اللواتي ذكرهن القرآن بصورة خاصة، امرأة فرعون؛ واسمها آسية بنت مزاحم؛ ذكرها القرآن في نجاة موسى من القتل، حينما التقطه آل فرعون وهو رضيع، باقتراحها (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ).[2] كما ذكرها الله في مواضع أخرى، منها (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين).[3]

ومن المناسب هنا ذكر قصة ماشطة بنت فرعون كما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ:يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ!

1- حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، الوجه والوجه الأخر، الدار الثقافية، القاهرة 2005.ص14

2- سورة القصص، الآية 9

3- سورة التحريم، الآية 11.

قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاهَا فَقَالَ: يَا فُلانَةُ؛ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ : أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا، قَال: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ؛ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةُ صِغَارٍ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْن.[1]

يلاحظ أن المعهود في الأسلوب القرآني الإيجاز المُعجِز؛حيث توجد ثلاث طرق رئيسة للتعريف بالأشخاص، هي الاسم والكُنية واللقب.وتتفاوت تلك الطرق الثلاث في درجة اشتهار الشخص بها، والأسلوب القرآني المعجز الموجز يقتصر على ذكر أقرب طريقة إلى تعيين الشخص المُراد والأكثر تحديدا لهويته بحسب ما يقتضيه المقام والسياق، حيث أنه لا خلاف على أن فرعون هو الاسم الأكثر شهرة من آسية امرأته، فتُغنى إضافتها إليه عن ذكر اسمها، كما أن بينها وبين فرعون مانع من الزوجية، فهي مؤمنة وهو كافر، ولذلك لم يتحقّق الانسجام بينهما، فهي «امرأته» وليست «زوجَه». والقليل من الناس هم الذين يعرفونها باسمها الشخصي، بينما الناس جميعا يعرفون دلالة الاسم فرعون، وعلى هذا فإن الإشارة إلى آسية بوصفها امرأة فرعون فحسب، تصبح كافية جدا للتعريف بها والدلالة عليها أكثر مما لو ذَكَرها باسمها فقط لا غير.[2]

علاوة على نموذج آسية، المذكور في الفصل الأول من هذا البحث فقد ذكر القرآن عدّة نساء مع بعض الخصال الحسنة نذكر منهن أم موسى عليهما السلام؛ فهي من النساء المؤمنات اللواتي ذكرن في القرآن، وهي التي يمكن أن نعدّها أكبر مظهر للإيمان والتسليم لربّ العالمين.فأيّ إيمان أعظم من إيمانها بالله وتسليمها المحض له تعالى، وأيّة امرأة في العالم تُلقي برضيعها في اليمّ وهي لا تعلم عن مصيره شيئًا، كفاها عزًّا أنها أمّ أحد أنبياء الله ومن أُولي العزم منهم، وبلغت من المكانة والدرجة العظيمة إلى حد أن أوحى الله سبحانه ملهمًا لها حينما تحيّرت في

1- أخرجه أحمد في المسند (309/1) ، والطبراني (12280) ، وابن حبان (2903)، والحاكم (496/2).

2- وردت كلمتا «الزوجة والمرأة» في القرآن الكريم، ولذلك لحِكمة ذكرها أهل البلاغة وهي: أنه عند استقراء الآيات القرآنية التي جاء فيها اللفظان، نلحظ أن لفظ «زوج» يُطلق على المرأة إذا كانت الحياة الزوجية تامّة بينها وبين زوجها، وكان التوافق والاقتران والانسجام تامًّا بينهما، بدون اختلاف ديني أو نفسي أو جنسي.

أمر ولدها واضطربت على وليدها حيث يقول:(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ.....).[1]

وحينما يقص علينا القرآن، قصة رحلة موسى إلى مدين وملاقاته شعيبا وابنتيه؛ يصف إحدى البنتين بقوله :(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء)وهذه هي التي أصبحت زوجة موسى .فحياؤها ظهر في مشيتها؛حياء جدير بالذكر والتفكر .يشير القرآن إلى هذه الصورة بعد هذه الصفة البارزة لها إلى صفة حسنة أخرى موجودة فيها وهي درايتها وحسن اختيارها زوجها إذ قالت لأبيها :(يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)[2].

ومن النساء اللاتي يمكن أن نعرّفهن بأنهن أسوة في الصدق وفي الوفاء بالنذر فهي أمّ مريم، امرأة عمران والتي ورد ذكرها في قرآن يتلى إلى يوم القيامة:(إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).[3] كما تبين من الآية أنها نذرت ما في بطنها لله وحينما وضعت حملها ورأت أنها وضعت أنثى وبرغم أن الأنثى ليست كالذكر في مجال العمل المنوط بخدمة بيت المقدس، ولكنها وفت بنذرها صادقة.

يلاحظ أنَّ من النساء ذكرهن القرآن الكريم بصورة مباشرة كمريم عليها السلام، كثيرًا منهن بصورة غير مباشرة كفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، خديجة بنت خويلد، بلقيس ملكة سبأ، امرأة أيوب، امرأتا إبراهيم، امرأة زكريا وغيرهن عليهن السلام ونحن نكتفي هنا بهذا القليل في هذا المجال ونختتمه بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون[4].

كما أشار القرآن الكريم إلى النساء الصالحات، أشار أيضًا إلى النساء السيئات، وضرب مثلا بامرأة نوح وامرأة لوط؛ رغم أنهما كانتا زوجتا نَبِيَّيْن من أنبياء الله وهما نوح ولوط عليهما السلام إلا أنهما كانتا كافرتين ومثالًا سيئًا، بعكس امرأة فرعون الكافر، التي كانت مثالًا حسنًا وقدوة يقتدى بها .قال تعالى في وصفهما :(ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ).[5]والخيانة هنا كانت خيانة في العقيدة.ومن النساء السيئات اللائي ذكرهن القرآن الكريم، امرأة أبي لهب التي عايشت عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

1- سورة القصص، الآية 7.
2- سورة القصص، الآية 26.
3- سورة آل عمران، الآية 35.
4- رواه الترمذي، في سنن الترمذي، عن أنس بن مالك، الصفحة أو الرقم: 3878، صحيح.
5- سورة التحريم ، الآية 10.

وهي التي وصفها القرآن الكريم :(وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ في جِيدِهَا حَبلٌ مِن مَسَدٍ).[1]

المطلب الثاني: دور المرأة في بناء الحضارة:

تتضمن كثير من قصص القرآن شخصيات نسائية وتقدم للمؤمنين لحظات من التأمل في النفس.والتركيز على قصص النساء في القرآن يمكن أن يوفر الغذاء الروحي وكذلك يمكن أن يساعد في ربط المسلمين بتاريخهم المقدس، وخصوصًا عندما يواجه أحيانًا صعوبة في العثور على نساء أخريات في مناصب ذات سلطة دينية يمكننا أن ندرس عنهن ونتأسى بهن مباشرة.

لا شك أن الإصلاحات الاجتماعية الكثيرة التي وضعها القرآن وتلك المبادئ التي بينها النبي محمد صلى الله عليه وسلم لصالح النساء، كان لها تأثير على شخصية الدين وروحه وهي تتطور كلما تطور الزمن. وفي القرآن نماذج لنساء هن في الحقيقة معالم يستدل بها، ولهن دورهن الأساس في نقل المعرفة الدينية، والقصص العديدة لنساء بارزات دعمن ماليًّا وأسسن روحيًّا بواكيرَ المجتمع الإسلامي.

لم يفرق الإسلام في التكليف الديني بين الرجل والمرأة، فكلاهما على السواء مطالب بعبادة الله تعالى وإقامة دينه، والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد حمل القرآن الكريم الرجال والنساء جميعاً مسؤولية تقويم المجتمع وإصلاحه، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في قوله تعالى:(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)،[2]ومن هنا شاركت المرأة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في مختلف مجالات الحياة، وعبر شتى مراحل الدعوة، من البعثة، إلى إقامة الدولة، إلى عهود الفتح، ضمن آداب الإسلام، وضوابطه، وأخلاقه التي لم تستثن الرجال من دون النساء، ولو نظرنا إلى القضية على هذا الأساس القرآني، ما وجدت مشكلة، المشكلة توجد بين المفرطين والمغالين، وهذه هي مشكلتنا في قضايانا الكبرى كلها، أننا نقع بين طرفي الغلو والإفراط، أو التقصير والتفريط، والخير كل الخير في الوسطية؛ والتي تعني الأفضلية، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).[3]

1- سورة المسد الآيتين 4-5 .

2-سورة التوبة، الآية 77.

3-سورة البقرة بعض من الآية 143.

والمانع من الغلو والتقصير هو الاعتصام بالنصوص الشرعية المحكمة في هذه القضية، أي نصوص القرآن والسنة الصريحة الصحيحة التي لا خلاف عليها، هذه هي العاصمة من الغلو، وهي التي نحتكم إليها عند الخلاف.

فلابد أن نرجع إلى المحكمات، والمحكمات من كتاب الله تضع المرأة في صورة كائن حي، عاقل، مفكر؛ وهي شقيقة الرجل؛ مكلفة مثله، ومجزية على الخير في الدنيا والآخرة مثله، والقرآن الكريم قال:(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)؛[1] شرط وجوابه. وفي الحياة الطيبة أقوال منها أنه الرزق الحلال، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك. ومنها القناعة، قاله الحسن البصري وزيد بن وهب ووهب بن منبه، ورواه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا. ومنها توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤد به إلى رضوان الله، قال معناه الضحاك. وقال أيضا، من عمل صالحا وهو مؤمن في فاقة وميسرة فحياته طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله ولم يؤمن بربه ولا عمل صالحا فمعيشته ضنك لا خير فيها. وقيل الرضا بالقضاء. ولنجزينهم أجرهم أي في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون وقال فلنحيينه ثم قال ولنجزينهم لأن مَنيصلح للواحد والجمع، فأعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى.[2]

والمرأة والرجل من أول تكليف إلهي اشتركاً معاً، يعني منذ أن أسكن الله آدم الجنة حين قال جل وعلا لآدم:(اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين).[3]

إن النصوص القرآنية تخاطب الجميع على حد سواء، وخصوصاً في مثل الآية (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ)، وبعدها مباشرة يقول تعالى:(فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ * وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)؛[4] أيمن الرجال والنساء، فالمرأة تهاجر، وتخرج من ديارها، وتؤذى في سبيل الدين، وتضطهد، وتتحمل المحنة مع الرجال، وهؤلاء النسوة هاجرن إلى الحبشة، وهاجرن إلى المدينة، وأصابهم ما أصابهم. فالأمر الإلهي وجه إلى الرجل والمرأة جميعاً، والنصوص القرآنية موجهة إلى الجنسين معاً، حينما يقول الله يا أيها الناس أو يا أيها الذين آمنوا فالخطاب موجه إلى الرجل وإلى المرأة جميعاً. حينما سمعت أم سلمة

1- سورة النحل الآية 97.
2- تفسير الطبري 278.
3-سورة البقرة، الآية 35.
4- سورة آل عمران،الآية 195.

الرسول يقول: يا أيها الناس كانت لديها ماشطة تمشطها، فقالت لها دعيني أذهب، فقالت لها الماشطة:إنه يقول يا أيها الناس، فقالت أم سلمة: أنا من الناس.[1]

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:(إنما النساء شقائق الرجال).[2] وما دامت المرأة شقيقة الرجل، فعلى هذا الأساس يجب أن ينظر إلى المرأة ونشاطها وعملها في الحياة العامة وأن التكليف الموجه للرجل هو ذاته الموجه إلى المرأة على حد السواء؛ مع وجود أحكام قليلة تختص بالنساء، باعتبار أن المرأة تختلف عن الرجل في طبيعة تكوينها، ولذلك كان هناك أحكام تختص بها. كما أن هناك أحكاما قليلة تختص بالرجال، والأصل أن الأحكام العامة أحكام التكليف للرجل وللمرأة جميعا.وفي الحديث عن أبي عامر، حدثنا أفلح بن سعيد، قال: حدثنا عبد الله بن رافع، قال: كانت أم سلمة تحدث أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر وهي تمتشط:" أيها الناس". فقالت لماشطتها: لفي رأسي، قالت :فقالت: فديتك إنما يقول:" أيها الناس ". قلت: ويحك، أولسنا من الناس؟ فلفت رأسها، وقامت في حجرتها، فسمعته يقول: " أيها الناس، بينما أنا على الحوض، جيء بكم زمرا، فتفرقت بكم الطرق، فناديتكم، ألا هلموا إلى الطريق، فناداني مناد من بعدي، فقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فقلت: ألا سحقا، ألا سحقا"[3]

1- السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي، حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر 2008.

2- رواه أبو داود.

3- علاء الدين الأمين الزاكي، أثر المساواة في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة البيان، عدد240 عام 2007، ص ص 8-11.

وأما عمل المرأة في بيتها، وفي رعاية أولادها، ورعاية زوجها، هذا عمل لا ينافسها فيه أحد، هي ملكة هذا البيت، وربة هذه المملكة، وهذا عمل لا يمكن أن يقدر بأي قيمة، ولكن العمل الاقتصادي، عمل المعيشة والارتزاق، فللمرأة أن تعمل فيما تقدر عليه من عمل؛ فلا تكلف بالعمل في حفر المناجم مثلاً،ولا يجوز أن تعمل في عمل غير مشروع؛ أي محرم. وأن يكون هذا العمل بضوابطه الشرعية، كالالتزام بالآداب الشرعية الإسلامية في غض البصر: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ)،[1] وفي الكلام (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)،[2] وفي المشي (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)،[3] (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ)،[4] وأن تلتزم اللباس المشروع، وعلى المجتمع المسلم أن يوفر تحقيق تلك الضوابط الشرعية للمرأة.

المبحث الثاني: حضور صورة المرأة في القرآن الكريم:

يشكل حضور المرأة في القرآن الكريم أحد أهم المؤشرات على قيمتها وأهميتها في كتاب الله العزيز، ويقصد بالحضور هنا الحضور المصطلحي والمفاهيمي خاصة، حيث تحضر المرأة فيه من خلال مجموعة من الألفاظ والمصطلحات الدالة عليها، من جهة، ومن خلال نسق من المفاهيم التي ترتبط بموضوعاتها من جهة ثانية، وفضلا عن ذلك نستطيع تمييز سور بأكملها خصصت حيزا مهما منها لمعالجة قضايا المرأة، منها السورة التي تحمل اسم "النساء"، وسورة مريم التي تحمل اسم أطهر النساء، وسورة الطلاق التي سميت بالنساء الصغرى، وسورة التحريم والممتحنة والمجادلة، وهي سور ارتبطت أسماؤها بنماذج من النساء.

المطلب الأول: صورة مريم عليها السلام في القرآن الكريم:

من الصور الشواهد الحاضرة في القرآن الكريم، ذات الدلالة التي تؤخذ من تفاسير المفسرين صورة السيدة مريم عليها السلام، كمثال شاهد ونموذج باق للمرأة المؤمنة الصالحة؛ حيث أن دراسة شخصية المرأة عموما تقليد أدبي يؤدي إلى تحليل صورتها و تركيبتها.

وباستقراء النصوص يوجد في القرآن العديد من الآيات التي تتحدث عن المرأة، بل إن هناك سورة واحدة تحكي عن شخصية الأنثى على وجه التحديد وهي سورة مريم؛ ووصف صورة المرأة في قصة مريم في القرآن بما في ذلك الصور النفسية والصور الاجتماعية، وقد ذكرها أيضا في سور أخرى مثل

1- سورة النور، الآية 31.
2- سورة الأحزاب، الآية 32
3- سورة القصص الآية 25.
4- سورة النور، الآية 31

سورتي آل عمران والتحريم.ومن خلال تحليل صورة مريم تتضح الصورة النفسية للمرأة.

إن الصورة الاجتماعية للمرأة في قصة مريم في القرآن الكريم يظهر من خلالها حال الأسرة والمجتمع؛ حيث تتكون أسرة مريم أفراد ذكروا في سياق الكلام عن مريم.والاتجاه السائد في الخطاب القرآني وفي الأحاديث النبوية هو المساواة التامة فيما يختص بالعبادات والواجبات الدينية بين الناس جميعا ذكورهم وإناثهم.وقد ذكرت النساء في القرآن في مواضع عديدة، وخص الله بعضهن بذكر قصّصهن أو كنياتهن. ولا توجد امرأة ذُكِر اسمُها صراحةً في القرآن سوى مريم عليها السلام في قوله تعالى:(واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا).[1]

كثيرا ما ورد ذكر مريم بالاسم، ومريم في اللغة العربية هي والدة المسيح عليه السلام، ولُقبت بالعذراء لأنها لم تتزوج ولكنها أنجبت ابنها وهي عذراء كمعجزةٍ من معجزات الله. وقد تم العثور على ذكر اسم مريم في ثلاثة وثلاثين مرة في القرآن الكريم. ولكن في هذا الذكر لمريم في ثلاثة وثلاثين مرة ظهر اسمها ثلاث عشرة مرة مدمجًا مع اسم المسيح عيسى بن مريم؛ وبالتالي هي المرأة الوحيدة التي ورد ذكرها بطريقة مباشرة في القرآن، حيث توصف بأنها شخصية فوق كل شبهة، عذراء، نقية ومطهرة بالعناية الإلهية.

صورة مريم في القرآن ناصعة الجبين، وقد وصفت فيه بأنها المرأة الوحيدة التي كرستها أمها لله ونذرتها له منذ ما قبل ولادتها، والمرأة الوحيدة التي استقبلت بإجلال من الملائكة.ويتحدث القرآن بدون تردد عن قصة حمل مريم المعجزة وكيف جاءها رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا.

والقرآن عندما يذكر عيسى يذكره بابن مريم؛ وهو بهذا الشكل ينفي ألوهية المسيح بن مريم، وفيه الإنكار على أهل الكتاب في ادعاءاتهم من أنه إله أو ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة، ولم يكن المسيح ليموت مصلوبا بل رفعه الله إليه..الخ...بالإضافة إلى الرموز الأساسية والمتفرقة، خصص القرآن ذكرا لمريم حيث أورد اسمها مجرداً في سورة النساء مرتين في سياق ذم اليهود لكفرهم واتهامهم لمريم وفي تقرير حقيقة كون عيسى كلمة الله، ألقاها إلى مريم. قال تعالى:(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا).[2]

1- سورة مريم، الآية، 16.

2- سورة النساء، الآية 171.

لقد حملت سورة من القرآن اسم مريم، لتتحدث بالتفصيل عن قصة بشارتها وحملها بعيسى عليه السلام، كما ورد اسمها مجرداً مرتين في ذات السورة، من بداية عرض قصتها، عندما أتت بني إسرائيل تحمل ابنها، فاستغربوا ذلك منها وأنكروه عليها، قال تعالى:(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّا*فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً*قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً*قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً*فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً*أَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً*فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً* وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً*).[1]

وورد اسم مريم في سورة التحريم مرة واحدة منسوبة إلى أبيها عمران في مقام الثناء عليها لإيمانها وتصديقها وقنوتها، قال تعالى:(وَمَرْيَمَ ابنة عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ).[2]

وتحدثت سورة آل عمران عن بداية قصة مريم عليها السلام عنها منذ أن حملت بها أمها ونذرت أن يكون ما في بطنها لله وتقبلها الله ورعاها، وقد اختلف الصالحون من بني إسرائيل فيمن يكفلها وهي طفلة صغيرة فاستهموا وألقوا أقلامهم مقترعين، فكانت القرعة من نصيب زكريا عليه السلام، وهو زوج أختها؛ وتكفل زكريا بها فنشأت فتاة مؤمنة صالحة في كفالته، وكان الله يكرمها برزق مستمر يوجد عندها، وسألها زكريا عن مصدره وسط استغرابه فأجابت بأنه من عند الله فدعا ربه أن يرزقه غلاماً، قال تعالى :(إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ*فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ*هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ).[3]

1- سورة مريم، الآيات 16-26.
2- سورة التحريم الآية 12.
3-سورة ال عمران الآيات 35-38.

ثم تحدثت آيات السورة عن تبشير الملائكة مريم عليها السلام، بأن الله قد اصطفاها على نساء العالمين وعليها أن تقنت وتركع وتسجد لله وبشرتها الملائكة أيضاً بأن الله سيهبها ابنها عيسى عليه السلام وسيجعله نبياً رسولاً، ولما استغربت مريم من ذلك أخبرتها الملائكة بأن هذا أمر الله والله يخلق ما يشاء، قال تعالى :(يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ* ذٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ* إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ*وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ*وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ).1

يلاحظ أن القرآن لا يتخذ شكلًا صارمًا للسيرة الذاتية،لقد أكد الإسلام على الروابط الاجتماعية التي تتناسب مع العقيدة الإسلامية، فأكد على القيم التي تربط أواصر صلة الرحم بين صفوف المسلمين ورفض العصبية فكان القران الكريم خير دستور نزل على هذه الأرض من يوم خلق آدم عليه السماء حتى تقوم الساعة؛[2] حيث تتمثل الوظيفة الرئيسية للسرد في استدعاء وتجميع العلامات الرئيسية للوحي في كوكبة ذات معنى في حد ذاتها؛ ففي القصص القرآني يتجلى من صيغ الخطاب صيغة المنقول المباشر التي تهيمن على الحكي، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص.[3]

وللحقيقة فإن القرآن لا يسعى إلى كتابة مريم في تاريخ وأنساب، بل يهدف إلى إظهار صورة العلامات التي يغفل التاريخ عنها، ومع ذلك ، فإن ما قد يفاجئ للوهلة الأولى هو حقيقة أن القرآن يدمج في شخص واحد شخصية مريم؛ والدة المسيح مع شخصية مريم أخت موسى وهارون في العبادة والإيمان بالله، ولا يترك تكرار هذا النمط من التعرف على الاسم في العديد من الآيات القرآنية أي شك حول هذا المزيج، وذلك بالتأكيد بسبب التشابه في التسميات.[4]

يبدأ السرد القرآني لصورة مريم برغبة أمها التي تكرس لله الطفل الذي تحمله في بطنها محررا لخدمة بيت الله؛ حيث يقدم النص القرآني نسختين من قصة

1- سورة ال عمران الآيات 43-48.

2- جاء في سورة المؤمنون، الآية 50:(وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ). في هذه الآية ورد (ابن مريم) من دون اسمه (عيسى) ولا لقبه (المسيح).

3- محمد مشرف يوسف خضر، خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم، مجلة حراء، العدد 6 ،جامعة طنطا،2007 . ص ص 57-60.

4-إبراهيم عوض، هل أخطأ القرآن في اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون، https://www.alukah.net/sharia

مريم، في سورتين مختلفتين للغاية حسب أسلوبهما في السرد وكذلك من خلال توجهات كل منهما؛ حيث تتبع سورة مريم نفس التسلسل الزمني، حيث افتتحت بإعلان زكريا عن رغبته في ابن يرثه ويرث من آل يعقوب وأن يجعله ربه رضيا، قبل زيارة الملاك لمريم. أما في سورة آل عمران، فهي من جهتها تسلط الضوء على تفصيل الوصيتين اللتين يرجع تاريخهما إلى مفهوم مريم وتكريسها من قبل والدتها والتي هي امرأة عمران؛ أي زوجة عمران الذي هو من سبط اللاويين وهو نفس نسب موسى وهارون عليهما السلام.[1]

يكمن أحد أهم الخصائص الأساسية للذكر القرآني لمريم في صمتها، والمرة الوحيدة التي تتكلم فيها هي أثناء البشارة، لمخاطبة الملائكة وليس البشر، وتؤكد لهم عزمها على البقاء بتولًا، ثم استجوابها لهم، بناءً على ذلك، في كيفية تنفيذ الأمر الإلهي. بعد أن علمت أنهم ملائكة من عند الله. وفي وقت لاحق، حتى لو تعرضت للافتراء من قبل بني إسرائيل، فإنها لن ترد عليهم وتترك الأمر لابنها الوليد الذي لا يزال في المهد صبيا، والذي يقدمه القرآن باسم عيسى بن مريم.[2]

بالإضافة إلى ذلك، لا يذكر القرآن شيئًا عن النبوءات والمعجزات والأحداث الأخرى التي تسبق وتحيط مجيء المسيح إلى الدنيا، بل يحتفظ فقط بأكثر العلامات تعاليًا في حياة مريم عليها السلام، من قبل مجيئها إلى الدنيا وبداية حملها إلى ولادة المسيح وتقديمه إلى بني إسرائيل.

وفي الواقع، فإن المعلومات عن مريم المأخوذة من النص القرآني هي التي تصور شخصية المرأة. فقد عرض القرآن الكثير من شؤون المرأة في أكثر من عشرين سورة منها على سبيل المثال سورة النساء الكبرى وهي سورة النساء والأخرى عرفت بسورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق وعرض لها في البقرة،المائدة،النور، الأحزاب،المجادلة، الممتحنة والتحريم.[3]

لقد دلت هذه العناية الإلهية في القرآن الكريم على المكانة التي ينبغي أن توضع فيها المرأة في نظر الإسلام ، وأنها مكانة لم تحظى بها لا في شرع سماوي سابق ولا في قوانين بشرية تواضع عليها الناس فيما بينهم، وعلى الرغم من هذا فقد كثر كلام الناس حول وضع المرأة في الإسلام و زعموا أن الإسلام سلبها حقها وأسقط منزلتها والله هو الذي يقول: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

1-إبراهيم عوض نفسه.

2- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية – بيروت 1994. ،4/223،

- الزحيلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق - بيروت 1991. 77.76/16.

3- هدى عبد اللطيف عريان، الشخصية النسائية في القصة القرآنية،دار غار حراء،دمشق2005ص 216.

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).[1]

كما أعطت السنة النبوية للمرأة كافة حقوقها دون زيادة أو نقصان ،احترمت إنسانيتها وكرامتها، ومنعت كل ما يؤدي إلى ظلمها وإهانتها، وإن كانت المرأة مسؤولة مسؤولية خاصة فيما يختص بعبادتها فهي في نظر الإسلام أيضا مسؤولة مسؤولية عامة فيما إيختص بالدعوى إلى الخير، والأمر بالمعروف، والإرشاد إلى الفضائل والنهي عن المنكر والتحذير من الرذائل.

المطلب الثاني: مواصفات المرأة الأنموذج في القرآن:

بعد هذا العرض لصور النساء الصالحات والسيئات في القرآن الكريم، نصل إلى مرادنا وهو مواصفات المرأة الصالحة.ونستحضر صورة مريم نموذجا؛ فمن خلال النصوص القرآنية يتبين صفات الصالحات ليكنّ قدوة لنساء العالمين.

ولعل على رأس الصفات الصالحة يأتي التوحيد والعبودية، وهما الغاية التي خُلقنا لأجلها كما قال الله تعالى:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).[2] وكما نرى في القدوتين الحسنتين مريم وآسية المشار إليهما: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ).[3] والتي (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ).[4]

أما الثانية والثالثة فهما الطهارة والعفة؛ وهاتان الصفتان تعدان من أبرز صفات المرأة المؤمنة،قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ).[5] وقال: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا).[6] وقال:(يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا).[7]

ومن الصفات التصديق بالله وكتبه ورسله وكل ما ورد منه على لسان أنبيائه ورسله، قال تعالى :(وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ).[8]

كما أمر الله المرأة بالتقوى وعدم الخضوع في القول، والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر؛ قال تعالى: (يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا

1- سورة البقرة، الآية 288.
2- سورة الذاريات الآية 56.
3- سورة التحريم الآية 11.
4- سورة آل عمران الآية 37.
5- سورة آل عمران الآية 42- 43.
6- سورة التحريم الآية 12.
7- سورة مريم الآية 28.
8- سورة التحريم الآية 12.

تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا).[1]وأمرها بأداء الفرائض وعدم التبرج: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ).[2] (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ).[3]

وكل ذلك يبنى على أساس من التصبّر والخشوع والذكر:(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).[4]

المبحث الثالث: تقييم نماذج صور المرأة في القرآن:

غالبًا ما نجد في قصص القرآن صورًا لنساء يتمتعن بحكمة بارزة وعزيمة وتقوى، وقوة في الشخصية. ورغم أن غالبية قصص القرآن ترتبط بالرجال، إلا أن أكثر من اثنتي عشرة شخصية نسائية ظهرت أيضًا في التاريخ القرآني المقدس.

المطلب الأول:الفروق الدقيقة في التصوير القرآني للمرأة:

يسلط القرآن الضوء على بعض الفروق الدقيقة في تصوير الله سبحانه لنماذج من النساء؛ حيث أن النظر في نماذج النساء في القرآن يدعو إلى منظور جديد حول تراث المعلمات والعالمات بالدين لدينا. والصورة في القرآن الكريم صورة هادفة، تحول رؤية إسلامية للحياة والكون والإنسان، فالصورة سعت إلى بناء الإنسان فكرا وعقلا وشعورا وسلوكا؛ (أفلا يتدبرونَ القرآن أم على قلوبٍ أقفالُها).[5]

إن القرآن كتاب به تفصيل كل شيء، من الأمور الكونية إلى الأمور الدنيوية، كما قال تعالى:(ونزَّلنا عليكَ الكتابَ تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين)،[6] وهو كلام الله الذي أنزله بواسطة جبريل على رسوله ليوصله للبشرية، إنه أحسن الحديث كما قال تعالى:(اللهُ نزَّل أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتشابهاً مثانيَ تقشعرُ منه جلودُ الذين يخشون ربهم)؛[7] وإننا كمسلمين نسعى إلى مقابلة

1- سورة الأحزاب الآية 32.
2- سورة الأحزاب الآية 33.
3- سورة التوبة الآية 71.
4- سورة الأحزاب الآية 35.
5- سورة محمد الآية 24.
6- سورة النحل الآية 89.
7 - سورة الزمر، الآية 23.

القرآن بوصفه كلامًا من ربِّ العالمين، لنحظى بالهداية والمنافع الروحية والعاطفية والنفسية والفكرية الأخرى؛ فالقرآن ملآن بالإمكانيات العظيمة.

تشرح كثيرٌ من الكتابات الإسلامية حول النساء في القرآن الأحكامَ والقواعد الخاصة بالنساء من خلال الرؤية القرآنية،وهذا يساعدنا على معالجة كل المواضيع الأسرية خاصة والاجتماعية عامة، وتوقفنا عند هذا الحد فيما يتعلق بالتفكير في هداية القرآن، فإننا سنفقد فرصًا لأنواع أخرى من الرؤى حول المرأة؛تلك الرؤى التي يمكن التوصل إليها بالتأمل في التفاصيل الدقيقة للآيات القرآنية وآثارها، وهي طريقة الارتباط بالقرآن المعروفة بالتدبر، وعلى سبيل المثال، ما ورد في سورة النساء، وسورة المؤمنون، وسورة محمد.

وإحدى الطرق للمشاركة بصورة أعمق في موضوع الأنوثة مثلا هو النظر في شخصيات قصص القرآن. حيث يوجد أكثر من ثلاثمائة آية تذكر نموذجًا نسائيًّا معينًا أو مجموعة من النساء تحتاج إلى التفكر والتدبر، ويتحدث الله عن النساء ويخاطبهن في القرآن، حيث أن شخصيات النساء تظهر في قصص الفتح، والتفاني للأبناء، والجاذبية الرومانسية وغير ذلك؛ فلا يوجد معيار واحد، ولا شخصية أنثوية نموذجية.

مما يلاحظ أنه لا تأتي المرأة في القرآن في صورة نمطية واحدة في قالب واحد؛ بل تأتي المرأة في القرآن باعتبارها مجموعة متنوعة؛ فمن النساء التقيَّة والفاسقة، والمتبصرة والجاهلة، والمتحكمة والمتهيِّبة، والكبيرة والصغيرة، والمشهورة والمغمورة، والمتزوجة والعازبة، والحاكمة والمحكومة، والوَلود والعاقر، وهكذا، فليس ثمة امرأة نموذجية. ففي بعض المواضع، يمتدح الله شخصيات معينة من النساء، وفي مواضع أخرى يوبخ الله الأخريات على سلوكهن.

ورغم أنه لم يُذكَر اسم امرأة في القرآن صراحة باعتبارها نبيًّا أو رسولا، إلا أن القرآن يصور شخصيات النساء وفطنتهن وامتيازهن الروحي.ففي كثير من الحالات، سمع الله احتياجات النساء والفتيات ورغباتهن في قصص القرآن.تتحدث المرأة مع رسل الله من الملائكة، وتتعبد المرأة لله كثيرًا، وإحدى النساء على وجه الخصوص، هي التي أتت بكلمة الله إلى العالم،وفي إحدى الآيات، تعبّر مريم عليها السلام بأسلوب مؤثر عن آلام المخاض عندما قالت:(يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا وكنتُ نسياً منسياً)[1] فتعبر هذه الآية بأسلوب مؤثر عن المشقة والألم الذي تعاني منه النساء في كثير من الأحيان أثناء الولادة، ولكنها أيضًا تجسد نضالها المتمثل في حمل كلمة من الله. وبالبحث في قصص ابتلاءات وانتصارات الشخصيات النسائية بهذه الطريقة، يمكننا ملاحظة كثير من التوافق بين شخصيات الإناث والذكور.

1- سورة مريم الآية 23.

في الواقع، يُسلَّط الضوء على كثير من الشخصيات النسائية باتصافهن بصفات مثل الفطنة، أو إخلاص العبادة، أو القناعة والشجاعة، أو درجة قربهن من الله. وتخصص بالذكر لتكون بمثابة نماذج إيجابية وسلبية. إن قصصهن تساعدنا على غرس الفضائل.فالتأمل في تجربة المخاض لدى مريم عليها السلام مثلا، يمكن أن يؤدي إلى زيادة التعاطف مع النساء اللاتي يواجهن هذه المهمة العجيبة على نحو استثنائي بل يرغبن أيضًا جسديًّا وعاطفيًّا في مهمة الولادة. فالتجربة المجسدة للولادة هي بالضرورة تجربة أنثوية فريدة، ولكن حتى قراء القرآن من الذكور ينطقون بصرخات حزينة لامرأة أثناء المخاض بإعادة تلاوتهم لكلام مريم: (يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا وكنتُ نسياً منسياً).

إن مثل هذه الأبعاد المؤثرة المحتملة للقصص القرآنية هي المفتاح، وبالمقارنة بين آلام ولادة مريم، والألم الذي تعاني منه والدة موسى عليه السلام عندما تضطر إلى إلقاء طفلها في اليم لإنقاذه من جنود فرعون .يلاحظ كيف تحتوي كلتا القصتين على قوة مؤثرة لمن يتلقى القرآن.

وهنا يخفف الله من المعاناة الجسدية والعاطفية، وينقل هؤلاء النساء المقتدى بهن إلى حالة من الرجاء والطمأنينة، وفي نهاية المطاف إلى معرفة عدل الله ورحمته. وكل منهما تثبت خضوعها لله واستعدادها لتنحية كل الارتباطات العاطفية الدنيوية جانبًا لتنفيذ أوامره.ويتم اصطحاب المستمِع في تلك الرحلة العاطفية، في صورة تسمح له بالشعور بالطمأنينة التي يصلن إليها. وفي هذه القصص، يخفف الله من المحن الشديدة التي تتعرض لها النساء التقيَّات. وما زال يجب على المرأة التقيَّة أن تتحمل المصاعب، ولكن معاناتها يقابلها اطلاع الله وعونه.

توضح مثل هذه القصص القرآنية صفات الله وتبني صورة من صور التأكيد لمن يتلقى القرآن على أنه يمكنهم أيضًا الاختصاص بهذه العناية .وفي نهاية المطاف، تؤدي إعادة النظر بانتظام إلى هذه الشخصيات النسائية في سياق ممارسة الشعائر التعبدية إلى تغيير من كان له قلب .إذ تولد الآيات القرآنية تأثيرات على القراء والتالين والمستمعين. فعلى سبيل المثال، يتولد التعاطف عند التفكر في قصة الصراع العاطفي للأم التي تُفصل بالقوة عن طفلها، ويمكن أن تدفعنا مثل هذه القصة القرآنية إلى العمل عندما تُبعِد الحكومات الأطفال عن عائلاتهم مثلًا؛ كما يحدث في بعض الدول الغربية فصل الأبناء عن أمهاتهم بدعاوى واهية.وعلى صعيد آخر، فإن وحي الله لأم موسى عليهما السلام يؤكد إيمانها وثقتها بأن وعد الله سوف يتحقق. وهذا درس عام حول فعالية دأب الصبر.

إن الشخصيات النسائية عمومًا تقية على نحو استثنائي ومستقيمة أخلاقيًّا . فمثلا، تحتوي آيات قرآنية متعددة على تضرع الإناث إلى الله. وحتى ذكر قصة

امرأة عزيز مصر، إلى أن نقطع أكثر من ربع طريق تلاوة القرآن من البداية، كل الأمثلة التي تتحدث فيها الشخصيات الأنثوية تتمثل في الدعاء أو تتعلق بطريقة ما بالثناء على الله.

تتحدث شخصيات نسائية عديدة بكلمات التقوى وتتضرع إلى الله بنفس الكلمات التي تتحدث بها الشخصيات النبوية. فمثلا، تدعو امرأة فرعون آسية عليها السلام بنفس المصطلح الذي يدعو به ابنها المحتضَن موسى عليه السلام عند هروبه من مصر .كلاهما يدعو قائلا:(ربِّ نجني من القوم الظالمين).[1] وتتحدث مريم وملكة سبأ أيضًا بطريقة تشبه أو حتى بنفس طريقة كلام الأنبياء.

على سبيل المثال، أنهت ملكة سبأ حديثها بالتوجه إلى الله، والاستغفار، والاعتراف بخضوعها: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين)،[2]بنفس الكلمات التي قالها نبي الله موسى في الدعاء اللاحق في سورة القصص، ربِّ إني ظلمتُ نفسي. وكذلك عندما واجهت مريم عليها السلام بشَرًا سويًّا في محرابها الخاص، صرخت على الفور:(أعوذ بالرحمنِ منك إن كنتَ تقيًّا)،[3] وبنفس الطريقة عندما طوَّقت امرأة العزيز نبي الله يوسف عليه السلام، فقال:(معاذ الله)،[4] وسمى الله يوسف بالصدِّيق،[5] وسمي القرآن مريم كذلك بالصِدِّيقة).[6]

كما يُذكَر كلام مريم وكلام نبي الله زكريا موضوعيًّا جنبًا إلى جنب في عدة مواضع في القرآن؛فمريم التي تتحدث مع الملائكة وتصرخ في ألم الولادة مثلا، تلتزم الصمت فيما يتعلق بالدفاع عن شرفها ضد تهمة الفجور؛ ونذرها بالصوم عن الكلام صدى موضوعي لصوم كافلها زكريا عن الكلام حينما جاءته البشارة بولادة يحيى عليهم جميعاً السلام. لقد كان كلا النموذجين معبرين أمام الله سبحانه، ولكن كان يجب أن يلجئا إلى الإشارة أمام قومهما.

المطلب الثاني:سمات خطاب الأنثى في القرآن:

بعيدًا عن موضوع الوعظ العام، لا يلاحظ أي سمات مميزة لخطاب الأنثى في القرآن تميزه عن خطاب الذكر عموما. وغالبًا ما تتحدث النساء في القرآن بنفوذ وبصيرة وفطنة؛ وفي مناسبات نادرة، يكون لخطاب الإناث أهدافٌ مشينة.

1- سورتي القصص الآية 21، والتحريم الآية 11.
2- سورة النمل الآية 44.
3- سورة مريم الآية 18.
4- سورة يوسف الآية 23
5- سورة يوسف الآية 46.
6- سورة المائدة الآية 75.

كما أن امرأة العزيز وملكة سبأ كلتا المرأتين الأرستقراطيتين اللتين صُوِّرت رحلة كل منهما من الباطل إلى الحق كانتا أكثر النماذج كلامًا.

ولا يبدو عمومًا أن خطاب النساء أكثر أو أقل في التأثير أو التكوين العاطفي من خطاب الرجال .إذ تعبر شخصيات نسائية متعددة عن أفكارها بوضوح وفعالية في المواقف الصعبة؛ فأخت موسى، وأمه الحاضنة امرأة فرعون، وملكة سبأ يتحدثن جميعًا بنُبل في الظروف الصعبة .وفي بعض الأحيان، تتعثر الشخصيات النسائية في الكلام عندما يتفاجأن.فتعرب سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام عن دهشتها من احتمال إنجاب طفل في شيخوختها بتعبير مفاجئ:(يا ويلتى)؛[1]في ردها على تلقي رسالة إلهية تبلغها بالحمل، ويصور القرآن هذه الواقعة في قوله تعالى:(فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ).[2]

ونموذج نسائي آخر يصور المفاجأة؛ كذلك، عندما واجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم إحدى زوجاته لإفشائها سرًّا، ردَّت -رضي الله عنها بقولها:(من أنبأك هذا)؟[3] وفي سرد هذه الحادثة، تبدأ سورة التحريم بخطابات حازمة للنبي صلى الله عليه وسلم واثنتين من زوجاته، ويتوعد الله وعيدًا عظيمًا بالانتقام إذا تآمرت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم عليه كانت زوجتا النبي محمد صلى الله عليه وسلم في وضع تملكان فيه الوكالة ضمنيًّا لاختيار أحد الطرفين الصالح أو غير الصالح الذي ستتبعانه.ورغم تحذير سورة التحريم الشديد للزوجتين، إلا أن هناك جانبًا من التوازن بين الجنسين في شخصيات الزوج والزوجة ذكره الله فيها. إذ تبدأ السورة بزوج النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حاجة إلى عون الله، لكنها تشير أيضًا إلى امرأة صالحة هي امرأة فرعون وهي تطلب عون الله على زوجها. حتى أن السورة تُختتم بتعظيم المرأة الصالحة التي ليس لها زوج على الإطلاق مريم عليها السلام.

كما تصور سورة التحريم امرأة نوح وامرأة لوط بصورة لا لبس فيها بوصفهما مثالين سلبيين للمؤمنين. بقول الله تعالى:**(**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**)**.[4]وتتلقى امرأة نوح وامرأة لوط أمرًا إلهيًّا في القرآن، ولكن على عكس النساء اللاتي يخاطبهن الله أو الملائكة، فإن الأمر الإلهي لامرأة نوح وامرأة لوط الخائنتين يأتي في صيغة المبني للمجهول دون متحدث معروف: وقيلَ ادخلا النارَ مع الداخلين.

1- سورة هود الآية 92.
2- سورة الذاريات الآية 23.
3- سورة التحريم، الآية 3 .
4- سورة التحريم الآية 10.

إن الخطاب الأخروي الموجه لهاتين المرأتين يقابل خطاب كثير من النساء الأخريات اللاتي يتلقين التوجيه والتشجيع.والنبذ السلبي لهذين النموذجين يؤكد أيضًا طبيعتهما البغيضة لخيانة عبدين صالحين. وهذان النموذجان الأنثويان لا يثيران الدناءة على المستوى الفردي فحسب؛ بل إن شخصياتهما بالأحرى توازي الظلم المنتشر لدى قومهما. فلم تقع الإدانة على أقوام في القرآن كثيرًا بقدر ما أدينَ قوم نوح وقوم لوط.

أما امرأة العزيز فهي الشخصية الفاتنة الوحيدة في القرآن، وهي مثال واضح على سوء السلوك الجنسي في مقابل خلفية من الشخصيات الأخرى للنساء العفيفات. ومع ذلك، فيمكن اعتبار إحدى الآيات التي تنطوي على خطابها تأكيدًا على سرعة بديهتها.إذ تُروى لحظة الذروة على النحو التالي:(وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُر وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).[1]

وفي هذا المثال، تشير امرأة العزيز إلى نفسها باستخدام التعبير الملطف أهل، وهو مصطلح يمكن أن يعني زوجة شخص معين ولكنه يمكن أن يشير أيضًا إلى الأسرة أو المنزل على نطاق أوسع،وبهذه الطريقة فإن سؤالها: ما جزاء من أراد بزوجتك سوءًا؟ يحمل مغزى ما جزاء من أراد بعائلتك سوءًا؟وبهذه الكلمات، يلفت خطابها الانتباه إلى الطرق التي يرتبط بها رأس المال الاجتماعي للرجل في النظام الاجتماعي الأبوي، بقدرته على حماية وضمان السلامة والكرامة الجنسية للنساء الواقعات تحت مسؤوليته؛ وبالتالي فهي لا تلقي الاتهام على يوسف عليه السلام بخداع فحسب، بل إنها تفعل ذلك باستخدام لغة من شأنها أن تحقق غرضها البشع على أفضل وجه. ولكنها ليست الأنثى الوحيدة في القرآن التي تستخدم سرعة بديهتها، لكنها الأنثى الوحيدة التي تستخدمها لأهداف مشينة بوضوح.ويمكن أن يدفع كلامها القارئ أو التالي أو المستمع إلى التفكر مليًّا في مصداقية حديثها[2].

ولا شك أن المسلمين استفادوا منذ ظهور المجتمع الإسلامي الأول من هذه الصور التي جاء بها القرآن في تأسيس مجتمع على أساس أخلاقي وعلمي والحفاظ عليه ونقله.فعمل العلماء على توضيح المعرفة الدينية ونقلها ليس سمة من سمات الحداثة على النمط الغربي والتي تبناها المسلمون في لحظة التنوير أو كرد فعل على الخطابات الحديثة حول حقوق المرأة. لقد أعاقت الصراعات الاجتماعية والسياسية المؤسساتِ التي تدعم التعلم الإسلامي مباشرة في أعقاب الاستعمار الأوروبي، ومما لا شك فيه أن تعليم المرأة وبثها للعلم تدهور تبعًا لذلك.

1-سورة يوسف، الآية 25

2- تفاسير القرآن بتصرف.

خاتمة الفصل الثاني:

إن التصوير القرآني للمرأة عميق عند تأمل القرآن بالتفصيل يجعلنا نفهم كيف يصف الله الحكيم العليم الإمكانيات الفكرية والروحية للمرأة، ما زال القرآن يؤكدها تمامًا ولا يحط من قدر المرأة أو يضعف الثقة فيها.

لقد أثبت القرآن سلامة فكر المرأة وكفاءتها الروحية وأوجد صورا كاملة لمعلِّماتٍ صالحات أيضًا، ففي سياق هذا الاستكشاف، كان الأمر كما لو أن الشخصيات النسائية في القرآن أصبحن مباشرة هن المعلمات اللاتي يصلحن كمثال ونموذج للاقتداء في الإسلام. وحتى القلة من صور الشخصيات النسائية الفاسدة اللاتي ذكرهن القرآن كان لديهن دروس تحذيرية لينقلنها إلى نساء المسلمين.

إن التأمل في كلام الله عن هؤلاء النساء يدفع إلى طرح مزيد من الأسئلة الوجودية حول الأنوثة، وقيمة المرأة، وكرامتها؛ حيث أن القرآن يؤكد إيمان المرأة وحكمتها وعلمها بطرق لم تُقدَّر بالكامل حتى الآن، والأهم من ذلك هو أن قصص النساء في القرآن يمكن أن تؤثر على الطريقة التي تنظر بها النساء إلى أنفسهن وقدراتهن الفكرية والروحية.

ومن خلال أولئك المعلمات المذكورات، أعني الشخصيات القرآنية، يمكن رؤية وتقدّير الفروق الدقيقة حول صور النساء في القرآن، والقرآن غالبًا ما يتعامل مع الشؤون التي تهم المرأة مباشرة بطريقة تتمحور حول المرأة، حتى عندما تُظهِر بعض الشخصيات مثل امرأة العزيز، على سبيل المثال عيوبًا في الشخصية.

وتمثل الشخصيات النسائية في مخالفاتهن، سواء كانت طفيفة أو خطيرة، وكذلك في شهامتهن، تذكيرًا بكيفية التعامل مع الصراعات البشرية وتطوير الشخصية الأخلاقية. فلد عمَّقَ التصوير القرآني للشخصيات النسائية في لحظات الكفاح تقدير الطرق التي يمكن بها لخطاب الله الأحكم والأبلغ، أن يُطَمئِن قلوب طالبي العلم والتقوى.إن قراءة قصص الشخصيات النسائية وإعادة قراءتها يقوي الرغبة في الاقتراب أكثر من الرحمن الرحيم، والقدير الحكيم الكريم.

خاتمة

إن الحديث عن الصورة في الأدب عموما وفي القرآن خصوصا، يعني بالضرورة الحديث عن عصر ما، وعن أناس ما، وعن نوع معين من الكتابات. وقد كانت المرأة وما تزال تشكل الأدب، وإذا كان الأدب تجميل الكلمات، فإن المرأة مخلوق جميل بالطبيعة يدفع هذا الأدب ليكون جميلا، ومع هذا لم تمنح الدرجة التي تليق بها، فقد كان الكتاب في معظمهم ذكورا. ولكن القرآن الكريم أنصفها.

وقد اختلف تصوير المرأة عبر العصور من شخص إلى آخر، ومن شخصية أدبية إلى شخصية أدبية أخرى. فمنهم من وصفها بالشيطان، ومنهم من تغزل بها، ومنهم من أعطاها صورة بالمعنى الطاهر، ومنهم من أعطاها صفة الجنس اللطيف، فاتصفت به حتى أيامنا هذه.

كما يجب علينا ألا نهمل أبدا تأثير الأدب على مجرى ومسار تطور المرأة وتقدمها عبر العصور،فقد شجعها بعضهم لكي تصبح إطارا فعالا، كما أعادها البعض لعصر أقهر من عصر الجاهلية، فلم تظهر كشاعرة أو أديبة إلا نادرا.

أثرت تطورات الفقهاء القدامى على المرأة في الأدب العربي، وشاركت في تكوين صورة خيالية لها وقد يسأل سائل أما كان بالإمكان أن نترك هذا الموضوع جانبا، ولكن لا مفر من دراسة الأدب، إذا أردنا تقديم صورة واقعية عن المرأة في الإسلام.

لقد قيل؛ المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لابد منها. ويذهب الجاحظ إلى القول بنقصان عقل النساء فيقول:وقد رأينا النساء والنساء أضعف من الرجال عقولا والصبيان أضعف عقولا منهم. فهو يذكر النساء مع الحمقى والصبيان، وينقل ابن عبد ربه ما ورد في حكمة داود عليه السلام قال: وجدت من الرجال واحد في ألف و لم أجد من النساء جميعا.

وبتتبع مسار المرأة في مجال الأدب، في محاولة فرز ما جرى عليها ولها، فربما يكتفي للإيجاز في ثلاث مراحل، قد تكون محطات مهمة في الأدب العربي؛ المرحلة الأولى، كانت قبل ظهور الإسلام؛ وقد كان للمرأة في الأدب العربي دور فعال في نمو العلاقة الإنسانية مع الجنس الآخر، ولها رأي مسموع واضح مثلما تطالب به المرأة الحديثة. ولولا حب العرب لنسائهم وتكريمهم واعتزازهم بهن، لما فكر شعراءهم بهذا الأسلوب، ولما لقب الرجل باسم أمه بدلا من أبيه مثل ابن كلثوم، ابن حفصة، ابن حسنة وغيرهن. وإذا كان الأدب كما يقال مرآة المجتمع، فالمرأة إذا لم تكن آنذاك دمية جامدة مصبوغة بالطلاء، أو مطية تسير خلف الرجل تابعة ذليلة، والسيدة خديجة قبل الإسلام طلبت الزواج من الرسول صلى الله علي وسلم بنفسها، وكانت كما ذكر تكبره بعدة سنوات.

أما المرحلة الثانية في مسيرة المرأة في الأدب العربي، فكانت بعد مجيء الإسلام، وقد بدأت بداية طيبة. فقد سمعت الشاعرة المخضرمة الخنساء، ترثي أخاها صخرا، وإن كان هذا لا يكفي لكنه ذكر أنه يوجد نساء غيرها لم تبرزهن الدراسات الأدبية قمن بالتعبير عن أنفسهن بطريقة أو بأخرى.

وأهم من هذا كله أظهر الدين الإسلامي بشاعة وأد البنات مستنكرا الجريمة محرما لها. ومرت قرون بعد ظهور الإسلام، و انتقاله إلى الدول القريبة والبعيدة، دخلت تبعا لذلك عادات و تقاليد غريبة من البلدان المجاورة أثناء تلك الفترة، أيضا بدأ الناس في بغداد عاصمة الخلافة، يتداولون كتابا قصصيا على لسان امرأة اسمها شهرزاد وكتاب ألف ليلة وليلة؛ فإذ أرادت تشويه سمعة أحد ما وهو المرأة في إلصاق تهم لها وهي الخداع، والغش، والخيانة، معظم الأحيان كل هذا تقصه المرأة نفسها لينطبق القول عليها؛وشهد شاهد من أهلها يخرج المرء بعد مطالعته كتابا مثل هذا متصورا النساء جنسا خبيثا ماكرا، وعلى الرجل أن يحسب حسابه معهن، نتيجة لهذه الأوضاع الفاسدة وبداية التدهور الحضاري، همشت المرأة واحتقرت.

وأخيرا جاءت المرحلة الثالثة للأدب العربي، وهي مرحلة العصر الحديث بعدة فترة انحطاط حيث هناك نوعان من النصوص الأدبية، عولجت بها شخصية المرأة؛

الأولى: بأقلام الرجال والنساء على السواء، تعاطفت مع المرأة وعاملتها ككيان صديق متفهمة مأزقها وما جرى لجنسها من عملية تشويه، كي يوضع اللوم عليها في كل ما جرى بالعالم من قبح.

الثانية: تعلق بالذين لازالوا مشغولين بالعقدة النرجسية والأنا، المرأة بالنسبة للكاتب الرجل.

ويكاد يكون هناك إجماع على صعوبة إيجاد تعريف شامل للصورة، ولعل هذه الصعوبة كامنة في كثير من المصطلحات الأدبية. فالوصول لمعناها ليس بالهين، ولابد لنا من الوقوف على الأسباب التي أدت إلى خفاء هذه المصطلح المراوغ؛ الذي أصبح كما يقول فريدمان: يَعْنِيْ كُلُّ شَيْءٍ لِكلِّ النَّاسْ.

الصورة أمر متعلق بالأدب وجماليات اللغة، والتطور الحادث في كليهما،وفي الفنون عموما،لا يلغي القديم بل يتعايش معه ويسير بجانبه لأن الصورة دلالات مختلفة، وترابطات متشابكة و طبيعة مرنة تتأتى التحديد الواحد.

وكثير من الباحثين نقل على المناهج الغربية نظرتها للصورة في عبارة فضفاضة غير منطقية وحاول تطبيق تلك النظرة قصرا على النصوص العربية. وليس المقصود من ذلك تثبيط الهمم بل استنهاضها لتفوض وراء خبايا هذا

المصطلح. وإن كان الحديث ينصب حول مادة "صور" في الذكر الحكيم فمن الواجب أن نشير إلى أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن.

أما الصورة الفنية فقديمة قدم الشعر نفسه، حيث لا يمكن أن نتصور شعرا يخلو من الصور الفنية، بل إن بعض الباحثين يرى أن الاستعارة هي لغة الإنسانية الأولى وأن الإنسان البدائي كان يفكر بالصورة.

وعند العرب؛أشار الجاحظ إلى معنى الصورة، فجاء نصه معدودا من أوائل النصوص التي يقترب فيها لفظ صورة بما هو مفهوم ومتعارف عليه عند أغلب النقاد المحدثين إذ يقول: المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإن الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير.وفي هذه العبارة لا يقف الجاحظ وهو يتحدث عن الصورة عند التفاصيل فقط. بل يشير إلى أهميتها فيه، وإن كان يؤكد على أنها درجة في معيار السبق والتنافس بين الفنانين، فهو يبرز قيمة كبرى للصورة، فالمعاني في نظره متاحة لكل الناس، والإشكال يبقى في فهم المعاني التي لا توضح للمتلقي إلا بقولبتها في قالب مناسب يحدها ويؤخرها.

كما تتأكد أهمية الصورة في البلاغة حيث تبرز أهميتها في العمل الأدبي وفي ما تتركه في قلب السامع. والألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما نراها بعيون القلب، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما فسدت الصورة وغيرت المعنى. وغرض الصورة وعملها هو تقوية المعنى وتوضيحه، فنرى تأكيده في جمالها وهو حسن التأليف والتركيب اللذان يزيدان في وضع معانيها وبتالي تذوقهما من طرف المتلقي.

ونجد عند عبد القاهر الجرجاني في دراسة الصورة منهجا متميزا عما سبقه من العلماء، فنجده أكثر في حديثه عن الصورة في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فقام بدراسة متميزة حول الصورة، حيث تناول هذه الأخيرة، وتناول أيضا عملية التصوير مبينا ماهيتها من شتى مصادرها الأصلية لذلك نجده يقول:وإن من الكلام ما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز الذي تختلف عليه الصورة، وتتعاقب عليه الصناعات، وجل المعول عليه في شرفه على ذاته وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره، ومن خلال هذا نفهم أن دراسة عبد القاهر الجرجاني للصورة الفنية من أحسن وأفضل ما تركه القدماء .

وتظهر أهمية الصورة بأنها الشعور المستقر في الذاكرة، وعندما تخرج هذه المشاعر إلى الضوء وتبحث عن جسم فإنها تأخذ مظهر الصورة في الشعر أو الرسم وحتى في النحت. فالصورة تحدث المعاني، وهي عبارة عن معطى مركب من عناصر مختلفة، تتجلى هذه العناصر في الفكر والخيال وحتى في الموسيقى .

وينظر النقد الحديث نظرة كلية إلى الصورة، حيث أن الصورة ليست شيء جديدا فالأدب قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم،لكن استخدام الصورة يختلف من أديب إلى أخر. وتنحصر أهمية الصورة فيما تحدثه من خصوصية، وتأثير في أي معنى من المعاني فهي لا تغير من طبيعة هذا المعنى، إنما تغير فقط من عرض وكيفية تقديمه. كما يمكننا حذفها دون أن تسبب أثرا في الهيكل النفسي المجرد للمعنى الذي يزيد من تحسينه وتزيينه.

إن صورة المرأة الوارد في قصة مريم وغيرها من قصص النساء الواردة في القرآن الكريم تنتمي إلى نمط الحكاية التكرارية شأن قصص القرآن الأخرى، والحكاية التكرارية هي أن يروى مرات ما وقع مرة واحدة، حيث عرض جانب من قصتها في سورة مريم والجانب الأخر في سورة آل عمرانْ؛ فمريم بنت عمران ذكرها الله في كثير من الآيات وأثنى عليها وجعلها مثالًا يحتذى به، منها قوله تعالى:(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ).

وهى واحدة من أربع نساء في الوجود كله من لدن آدم حتى تقوم الساعة هن سيدات نساء العالمين: خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم. ويقول النبي صلوات الله وسلامه عليه:" كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع السيدة خديجة والسيدة فاطمة ومريم ابنة عمران وآسيا بنت مزاحم، وقد مضى على قصصهن مئات السنين ينعمن فيها بالروح والريحان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ولقد توصلت من خلال بحثي إلى العديد من النتائج منها:

أولا: تعظيم القرآن لمكانة المرأة المؤمنة المسلمة، و رفيع منزلتها في الإسلام.

ثانيا: توصلت إلى إدراك مقاصد الإسلام في رعايته للمرأة، وعنايته واهتمامه بكافة قضاياها وعامة شؤونها .

ثالثا: أن المرأة في الإسلام إنسان كامل فكرا وروحا وعقلا، أهلها الله لأن تكون موضع كرامة.

رابعا: شخصية مريم تعلم الصبر والعفة والطاعة وحمل المسؤولية والعمل والسعي لرعاية ابن حمل رسالة سماوية واجهت معه قومها ومجتمعها، فكانت خير نساء العالمين.

خامسا: من خلال صورة مريم في القرآن تتعلم الإنسانية كيفية مواجهة الصدمات النفسية من خلال تدبُّر دلالتها التي جاءت في القرآن الكريم، وذلك باستلهام الدروس والعبر؛ كالاستسلام لقضاء الله وقدره.

يمكن لتجديد الاهتمام بصور النساء في قصص القرآن أن يساعدنا كمجتمعات مسلمة على تقدير المرأة بصورة أفضل في التاريخ الإسلامي المقدس.

سادسا: أن تقدير المرأة يمكن أن يوفر بدوره حافزًا للتعرف بصورة أفضل على المساهمات المتكاملة التي تقدمها النساء بانتظام كمعلمات ومستشارات وعالمات في الدين في مجتمعاتنا المعاصرة أيضًا إن شاء الله.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

- ابن تيمية أحمد، مجموع الفتاوى، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية 2004.
- ابن حِبّان محمد التميمي، صحيح بن حبان، تحقيق أحمد شاكر، منشأة المعارف 1952.
- ابن حنبل أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 2001.
- ابن عاشور محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، 2011 .
- ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، دمشق 1979. - ابن منظور:لسان العرب،ج ٤، الطبعة: الثالثة، دار صادر – بيروت - 1993 .
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق
- أبو داود سليمان بن الأشعث تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. ب ت.
-أبو زهرة محمد، محاضرات في عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي القاهرة، 1977.
- أبو هلال العسكري،الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط بيروت 1984.
- الأصفهانى الراغب ، مفردات غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، بيروت 1991.
- البطل على:
الصورةفيالشعرالعربي،حتىآخرالقرنالثانيالهجري،دراسةفيأصولهاوتطورها،دارالأندلس،ط2، 1983.
- البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري،دار ابن كثير، دمشق 2002.
- التركي، عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط1، 2001.

- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1996.
- الخالدي صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1988.
- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية – بيروت 1994. ،4/223،
- الزحيلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، المعاصر، دمشق-بيروت1991.
-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار السلام للنشر، الرياض 2002.
- السعدي، حسن محمد محي الدين، معالم في حضارة مصر في العصر الفرعوني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002 .
- السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي، حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر 2008
- السيد شفيع،التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية، دارالفكر العربي، ط 4القاهرة 1995.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت 1993.
- الصائغ عبد الإله، الصورة الفنية معيارا نقديا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 2010.
- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة 1995.
- الطرايرة محمد محمود ، المرأة واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدها (سيداو)؛ مركز باحثات لدراسات المرأة، الأردن 2015.
- العناني حنانعبد الحميد،
تنميةالمفاهيمالاجتماعيةوالدينيةفيمرحلةالطفولةالمبكرة،دارالفكر،الأردن2005.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، د .ط،د .ت.
- القط عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر -دار النهضة، مصر.1981
- الهاشمي عبد المنعم ، قصص النساء في القرآن للناشئة، دار بن حزم بيروت، 1998 .

-الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي المركز الثقافي العربي بيروت1990.
- شويل خالد محمد، الأهل والآل في القرآن الكريم والسنة النبوية، إي كتب للنشر والتوزيع بدون تاريخ نشر.
- عريان، هدى عبد اللطيف، الشخصية النسائية في القصة القرآنية، دار غار حراء، دمشق 2005
- عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة 2008..
-فاعور، علي حسن، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، القاهرة 1988.
- قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق عمان – الأردن 2003.
- مورو فرنسوا:البلاغة مدخل لدراسة الصور البيانية،ترجمة :محمد الولي وعائشة جرير،دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2003.
- صالح بشرى موسى: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، لبنان1994.
- عباس إحسّان، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت 1993.
-عبد الله محمد حسن، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف القاهرة د.ت.ن.
-نور الدين عبد الحليم، المرأة في مصر القديمة، المجلس الأعلى للآثار، مصر 2009.
- هلال محمد غنيمي ،النقد الأدبي الحديث، دار العودة ، لبنان 1997.- وهبة مجدي ،معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان،بيروت، 1974.
- يوسف حسني عبد الجليل، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، الوجه والوجه الآخر، الدار الثقافية للنشر والتوزيع, القاهرة2005.

ثانيا: المجلات.

-أحمد دراوشة، معالم فرعونية تؤرخ لمكانة المرأة في مصر القديمة،مجلة عرب 48، فلسطين 2016.
- الأخضر عيكوس، الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية، مجلة الآداب، عدد1 السنة1994.
- جريدة الأيام، تكريم الإسلام للمرأة المسلمة، العدد 8495 الجمعة 13 يوليو 2012.
-راندا شوقي الحمامصى، المرأة عبر العصور وحتى قرن النور، الحوار المتمدن، عدد 7256 سنة 2022.
- عبد الحميد قاوي، مفهوم الصورة الفنية في النقد الأدبي الحديث، مجلة الباحث، مجلد7 عدد16 السنة 2016.

- علاء الدين الأمين الزاكي، أثر المساواة في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة البيان، عدد240، السنة 2007.
- محمد مشرف يوسف خضر، خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم، مجلة حراء، العدد 6 ،جامعة طنطا،2007 .
ثالثا:الأطروحات والمذكرات
- مقلاتي نبيلة، صورة المرأة في القرآن الكريم، مذكرة ليسانس،جامعة البويرة، 2017.
رابعا: مواقع الانترنت:
- إبراهيم عوض، هل أخطأ القرآن في اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون.
-الحوماني محمد علي، الصورة والتصور والتصوير، مجلة الرسالة، العدد 64،سنة1934.https://ar.wikisource.org/wiki
-عبد الحميد قبايلي، الصورة الشعرية بين إبداع القدامى وابتداع المحدثين، الجمهورية2126794/https://www.yemeress.com/algomhoriah
-محمد تبركان، الدلالات التي تحملها لفظة (زوج) في اللغة، شبكة الألوكة .
- مزاهر القدال، في اليوم العالمي للمرأة
https://www.medameek.com/?p=39606
-هيثم السنارى، المرأة في مصر القديمة أوضاع المرأة في المجتمع المصري القديم، https://anbaalshrqalawsat.com .

الفهرس

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول:الصورة في الأدب عموما وفي القرآن الكريم خصوصا	1
المبحث الأول:مفهوم الصورة	2
المطلب الأول:تعريف الصورة لغة واصطلاحا	2
المطلب الثاني:نشأة الصورة عند العرب والغربيين	8
المبحث الثاني: المرأة في عصر الفراعنة.	9
المطلب الأول: صورة المرأة في الحياة العامة.	9
المطلب الثاني: صورة المرأة المصرية في الحياة الأدبية القديمة	11
المبحث الثالث: مقصدية صورة المرأة في القرآن ودورها في الحياة.	13
المطلب الأول: صور تكريم المرأة في القرآن الكريم	13
المطلب الثاني: دلالات حضور صورة المرأة في القرآن.	19
خاتمة الفصل الأول: خاتمة الفصل الأول.	26
الفصل الثاني: دلالة صورة المرأة في القرآن الكريم	28
المبحث الأول:نماذج للمرأة في القرآن.	29
المطلب الأول: صور النساء الصالحات في الكتاب الكريم.	29
المطلب الثاني: دور المرأة في بناء الحضارة.	32
المبحث الثاني:حضور صورة المرأة في القرآن الكريم.	35
المطلب الأول:صورة مريم عليها السلام في القرآن الكريم.	35
المطلب الثاني:مواصفات المرأة الأنموذج في القرآن.	40
المبحث الثالث:تقييم نماذج صور المرأة في القرآن	42
المطلب الأول: الفروق الدقيقة في التصوير القرآني للمرأة.	42
المطلب الثاني: سمات خطاب الأنثى في القرآن.	45
خاتمة الفصل الثاني.	48
خاتمة.	49
المصادر والمراجع	55
الفهرس	60

ملخص:
للصورة مكانة كبيرة في الأعمال الأدبية شعرا ونثرا حيث اهتم بها النقاد اهتماما بالغا ومالت بعض الدراسات إلى نتائج الاتجاه البلاغي وكان للتشبيه الجانب الأكبر في تشكيل الصورة وتوضيح مفهومها. تعتبر الصورة إذن أحد المكونات الأساسية في العمل الأدبي، فهي وسيلة للإقناع ومحل اهتمام المبدع والقارئ على السواء. فقيمة الصورة الحقيقة تأتي من سياقها إذ تحمل للكشف عن جوهر التجربة الإبداعية دلالات غير محددة فهي طريقة للتعبير ووجه من أوجه الدلالة. وتنحصر أهميتها فيما تحدثه في المعاني من الخصوصية.

Résumé

L'image a une excellente position dans les œuvres littéraires comme la poésie et la prose, où les critiqueurs s'intéressent à cela et ont pris soin de grande attention, et certaines études ont tendance aux résultats de la direction rhétorique, et la similitude avait le plus grand côté dans la formation de l'image et elle indique et clarifie son concept. L'image est donc l'une des composantes de base du travail littéraire, car c'est une persuasion de base et le sujet du Créateur et du lecteur. La valeur de la véritable image vient de son héritage, car elle porte pour révéler l'essence de l'expérience créative, qui ne sont pas des connotations spécifiques. Et son importance est limitée à ce qu'elle se produit dans les significations en particulier.